A True Discourse

Celsus

ترجمة مجموعة الروح، ما في الجبة إلا الله

خطاب حقيقي

سيلسوس

(أوائل القرن الثاني)

التاريخ: "وقد سمعنا أن هناك شخصين يحملان اسم سيلسوس، وكلاهما كانا من الإبيقوريين؛ عاش أحدهما في زمن نيرون، أما هذا فقد عاش في زمن أدريان، وبعد ذلك." (أوريجانوس، ضد سيلسوس، الكتاب الأول، الفصل الثامن)

[إن كتاب "خطاب حقيقي" لسيلسوس هو عمل مفقود، لكن أجزاء منه باقية في كتاب "ضد سيلسوس" لأوريجانوس، والتي تم جمعها هنا. يعود أوريجانوس إلى نفس ملاحظات سيلسوس، لكنه يتهم سيلسوس أيضاً بتكرار نفسه؛ لذلك قمت بتوحيد بعض التكرارات، والاحتفاظ ببعضها الآخر، وتحرير النص بأكمله من أجل سلاسة واتساق الصوت.

المجتمع السري

من بين الجمعيات، هناك جمعيات عامة، وهذه تتوافق مع القوانين؛ وهناك جمعيات أخرى سرية، تنتهك للقوانين؛ ومن هذا النوع الأخير المسيحية. يُعلّم المسيحيون ويمارسون عقائدهم المفضلة سراً. إنهم يفعلون ذلك لغرض ما، إذ يرون أنهم يهربون من عقوبة الموت الوشيكة؛ وقد واجه رجال مثل سقراط مخاطر مماثلة من أجل الفلسفة. نشأت "ولائم الحب" الخاصة بهم من الخطر المشترك، وهي أكثر إلزاماً من أي أيمان.

إن نظام العقيدة، أي اليهودية، الذي تعتمد عليه المسيحية، كان همجياً في أصله؛ وفي هذه الحالة كما في غيرها، فإن اليونانيين أكثر مهارة من غيرهم في الحكم على اكتشافات الأمم الهمجية وتأسيسها وتطبيقها.

نظامهم الأخلاقي مشترك بينهم وبين الفلاسفة الآخرين فقط، وليس فرعاً جديداً أو عريقاً من فروع التعليم، على الرغم من أن لوائحهم المتعلقة بالوثنية خاصة بهم. لا يعتبر المسيحيون تلك المصنوعة بأيدي البشر آلهة، على أساس أنه لا يتوافق مع العقل السليم افتراض أن الصور التي يصنعها أكثر العمال دناءة وانحطاطاً، وفي كثير من الحالات يقدمها أيضاً أناس أشرار، يمكن اعتبارها آلهة. إن هذا الرأي شائع، ولم تكتشفه المسيحية أولاً، ويتضح ذلك من قول هِرَقْليطُس بهذا المعنى: "إن الذين يقتربون من الصور الجامدة، كما لو كانت آلهة، يتصرفون بطريقة مماثلة لأولئك الذين يرغبون في التحدث مع المنازل". وكان الفرس أيضاً على نفس الرأي، وفقاً لهيرودوت.

يبدو أن المسيحيين يمتلكون قوة خارقة من خلال أسماء شياطين معينة، ومن خلال استخدام التعاويذ. وبواسطة السحر استطاع يسوع أن يصنع العجائب التي صنعها؛ ولأنه رأى أن آخرين سيكتسبون نفس المعرفة، ويفعلون نفس الأشياء، ويتباهون بفعلها بمساعدة قوة الله، فقد استبعد هؤلاء من ملكوته. إذا تم استبعادهم بحق، بينما هو نفسه مذنب بنفس الممارسات، فهو رجل شرير؛ ولكن إذا لم يكن مذنباً بالشر في فعل مثل هذه الأشياء، فإن أولئك الذين يفعلون مثله ليسوا كذلك أيضاً.

وأنا لا أقول إنه إذا كان الرجل الذي تبنى نظامًا من المذاهب الجيدة سيتعرض للخطر من الناس بسبب ذلك، فعليه إما أن يرتد، أو يتظاهر بالردة، أو ينكر آراءه علنًا. هناك شيء أفضل في الإنسان من الجزء الأرضي من طبيعته، وهو ما يشبه الله. أولئك الذين يكون هذا العنصر، أي النفس، في حالة صحية، يسعون دائماً وراء طبيعتهم المشابهة، أي الله، ويرغبون دائماً في سماع شيء عنه، واستحضاره في الذاكرة. إن الرجل الذي اعتنق نظامًا من المذاهب الجيدة لا ينبغي له، حتى لو تعرض للخطر بسبب ذلك من الناس، أن يتنصل منه ويتظاهر بالتراجع، أو يدعي أنه فعل ذلك، ولا أن ينكر ذلك علنًا وبشكل علني.

الإيمان الأعمى

عند تبني الآراء، ينبغي علينا اتباع العقل والمنطق، لأن من يوافق على الآراء دون اتباع هذا المسار يكون عرضة للخداع. المسيحيون غير المبالين يشبهون أولئك الذين ينساقون مع الميتراجيرتاي، والعرافين، والميثرا، والسباديين، وأي شيء آخر قد ينساق معه المرء، وأشباح هيكاتي، أو أي شيطان أو شياطين أخرى. فكما أن بين هؤلاء الأشخاص يوجد في كثير من الأحيان رجال أشرار، يستغلون جهل أولئك الذين يسهل خداعهم، ويقودونهم إلى حيثما يريدون، كذلك هو الحال بين المسيحيين. بعض الأشخاص الذين لا يرغبون في تقديم أو تلقي سبب لمعتقداتهم، يكررون باستمرار: "لا تفحصوا، بل آمنوا!" و"إيمانك سينقذك!" ويقولون أيضاً: "حكمة هذه الحياة شيء سيء، أما الحماقة فهي شيء جيد!"

لو أجابوني، ليس كما لو كنت أطلب معلومات، لأني على دراية بجميع آرائهم، ولكن لأني أهتم بها جميعاً على حد سواء، فسيكون ذلك جيداً. وإذا لم يفعلوا ذلك، بل استمروا في التكرار، كما يفعلون عادة، "لا تحقق"، وما إلى ذلك، فعليهم أن يشرحوا لي على الأقل طبيعة هذه الأشياء التي يتحدثون عنها، ومن أين أتت.

توجد علاقة عامة بين العديد من الأمم فيما يتعلق بالمذهب، كما هو الحال بين المصريين والآشوريين والهنود والفرس والأودريسيين والساموثراكيين والإليوسينيين والهايبربوريين. هناك رواية موثوقة منذ البداية، والتي يوجد بشأنها اتفاق دائم بين جميع الأمم والمدن والرجال الأكثر علماً. من أي من هذه الأمم القديمة والمتعلمة سيجد اليهود رأياً موافقاً؟ - من أهل جالاكتوفاجي عند هوميروس، والدرويد الغاليين، والجيتيين؟ لقد قدم الرجال القدماء والعلماء فوائد لمعاصريهم من خلال أفعالهم، وللأجيال اللاحقة من خلال كتاباتهم؛ فقد ناقش لينوس وموسايوس وأورفيوس وفيريسيدس وزرادشت الفارسي وفيثاغورس هذه المواضيع، وتم إيداع آرائهم في الكتب، وهكذا تم حفظها حتى الوقت الحاضر.

لقد شهد التاريخ منذ الأزل العديد من الحرائق والكوارث والفيضانات. كان الطوفان الذي حدث في زمن ديوكاليون، والحريق الذي حدث في زمن فايثون، حديثين نسبياً وأحدث من أي طوفان آخر. يعتبر اليونانيون تلك الأشياء قديمة، لأنهم لم يروا أو يتلقوا أي آثار لأحداث أقدم بسبب الفيضانات والحرائق. لذلك يشهد أولئك الأشخاص الذين هم أكثر المصريين علماً.

بعد أن تعلم موسى العقيدة الموجودة بين الأمم الحكيمة والرجال البليغين، نال سمعة الألوهية. إن الختان كما مارسه اليهود مستمد من المصريين. أولئك الرعاة الذين اتبعوا موسى كقائد لهم، انخدعت عقولهم بالخداع المبتذل، وخلصوا إلى أنه لا يوجد إلا إله واحد، يُسمى إما الأعلى، أو أدوناي، أو السماوي، أو ساباوث، أو يُدعى بأي من تلك الأسماء الأخرى التي يسرهم إطلاقها على هذا العالم؛ ولم يعرفوا شيئًا أبعد من ذلك. يبتكر المفسرون الأكثر حيادية دلالة استوائية ورمزية لتاريخ موسى.

يعبد اليهود الملائكة، وهم مدمنون على السحر، الذي كان موسى معلمهم فيه. سأبين فيما بعد كيف أن الجهل هو الذي خدع اليهود وأوقعهم في الخطأ. يسوع هو قائد جيلهم، بقدر ما هم مسيحيون، وقبل بضع سنوات بدأ بتعليم هذه العقيدة، حيث يعتبره المسيحيون ابن الله. لقد انخدع المتحولون إلى هذه العقيدة؛ فهذه العقيدة مبتذلة، وبسبب ابتذالها وافتقارها إلى قوة المنطق، لم تترسخ إلا في نفوس الجاهلين. إلا أن البسطاء وحدهم هم الذين قادتهم تعاليم يسوع إلى اعتناق دينه؛ فقد كان من بينهم بعض الأشخاص ذوي الذكاء المعتدل، والطباع اللطيفة، والذين يمتلكون الفهم، والقادرين على استيعاب الرموز.

خطاب اليهودي

(يسعى اليهود والمسيحيون إلى التأكد من تلك النبوءات التي يؤمنون بها بشكل مشترك، ما إذا كان الشخص الذي تم التنبؤ به قد جاء، أو لم يأت بعد، وما زال موضع ترقب. إني لا أرغب في التدخل في الخلافات العائلية التي لا تخصني، لذا اسمحوا لي أن أقدم لكم يهودياً لم يتخلَّ عن عادات أجداده، ليواصل الحوار مع يسوع.)

"أنت يا سيدي، لقد اختلقت ولادتك من عذراء! أنت يا يسوع، ولدت في قرية يهودية معينة، لأم فقيرة من الريف، كانت تكسب قوتها من الغزل. عندما كانت حاملاً، طردها النجار الذي كانت مخطوبة له من المنزل، بعد إدانتها بالزنا، وأنجبت طفلاً من جندي يدعى بانثيرا. بعد أن طردها زوجها، وتجولت لبعض الوقت، أنجبت يسوع بشكل مخزٍ، والذي نشأ كطفل غير شرعي، وأجر نفسه كخادم في مصر بسبب فقره، واكتسب هناك معرفة ببعض القوى الخارقة التي يفتخر بها المصريون كثيراً، ثم عاد إلى بلاده مبتهجاً للغاية بسببها، وأعلن نفسه إلهاً بفضل تلك القوى.

"كيف تختلف قصة ولادته من عذراء عن الحكايات اليونانية عن داناي، وميلانيبي، وأوجي، وأنتيوبي؟ إذا كانت والدة يسوع جميلة، فإن الإله الذي لا يحب الجسد الفاني بطبيعته، قد جامعها لأنها كانت جميلة. كان من غير المحتمل أن يكنّ الإله مشاعر حب تجاهها، لأنها لم تكن غنية ولا من الطبقة الملكية، إذ لم يكن أحد يعرفها حتى من جيرانها. عندما كرهها زوجها وطُردت من المنزل، لم تنقذها قوة إلهية، ولم يصدق أحد قصتها. لا علاقة لمثل هذه الأمور بملكوت السماوات. إن التنبؤ بأن ربنا سيأتي إلى العالم، وقصة النجم، والمجوس الذين أتوا من الشرق ليسجدوا للطفل، كلها أكاذيب [متى 2 :1].

"عندما كنت يا يسوع تغتسل بجانب يوحنا، تقول إن ما يشبه طائرًا من السماء قد هبط عليك. [متى 3: 16] ما هو الشاهد الموثوق الذي شهد هذا الظهور؟ أو من سمع صوتاً من السماء يعلن أنك ابن الله؟ ما الدليل على ذلك، باستثناء ادعائك أنت، وتصريح أحد الأفراد الآخرين الذي عوقب معك؟ هذه شهادتك أنت، غير مدعومة إلا بشهادة أحد أولئك الذين شاركوك في عقابك، والذي تقدمه أنت.

"لكن نبيي أعلن ذات مرة في أورشليم أن ابن الله سيأتي قاضياً للأبرار ومعاقباً للأشرار. لماذا ينبغي أن تكون أنت وحدك، وليس عدد لا يحصى من الآخرين الذين وُجدوا بعد نشر النبوءات، هم من تنطبق عليهم هذه التوقعات؟ بعضهم، انجرفوا وراء الحماس، وآخرون جمعوا حشوداً من الأتباع، يزعمون أن ابن الله قد نزل من السماء. قد تنطبق النبوءات التي تشير إلى أحداث حياتك على أحداث أخرى أيضاً. إذا كنت يا يسوع تقول إن كل إنسان يولد وفقًا لمشيئة العناية الإلهية هو ابن الله، ففي أي جانب يجب أن تختلف عن الآخرين؟ سيُدينك عدد لا يُحصى من الأفراد بالكذب، زاعمين أن تلك التنبؤات التي قيلت عن ابن الله كانت موجهة إليهم.

"يذكر يسوع أن الكلدانيين قد تم إقناعهم بالقدوم إليه عند ولادته، وعبادته وهو لا يزال رضيعًا كإله، وأنهم أبلغوا هيرودس الحاكم بذلك." أرسل هيرودس وقتل جميع الأطفال الذين ولدوا في نفس الوقت تقريبًا، معتقدًا أنه بهذه الطريقة سيضمن موته بين الآخرين؛ وقد دفعه إلى فعل ذلك خوفًا من أنه إذا عاش يسوع حتى سن كافية، فسيحصل على العرش. [متى 2: 16.] ولكن إذا كان هذا قد تم لكي لا تملك مكانه عندما تبلغ سن الرشد، فلماذا لم تصبح ملكاً بعد أن بلغت تلك السن؟ لماذا أنت يا ابن الله تتجول في مثل هذه الحالة البائسة، وتختبئ خوفاً، وتعيش حياة بائسة متقلبة؟ جمع يسوع حوله عشرة أو أحد عشر شخصًا من ذوي السمعة السيئة، من أشرس جباة الضرائب والبحارة، وهرب بصحبتهم من مكان إلى آخر، وحصل على رزقه بطريقة مخزية وملحة. تذهب بصحبة تلاميذك وتختبئ في أماكن مختلفة!

"لقد تجولت مع تلاميذك، وحصلت على رزقك بطريقة مخزية وملحة. وما الحاجة، علاوة على ذلك، إلى أن يتم نقلك إلى مصر وأنت لا تزال رضيعاً؟ [متى 2 :21.]هل كان ذلك هرباً من القتل؟ لكن من غير المرجح أن يخاف إله من الموت؛ ومع ذلك نزل ملاك من السماء، يأمرك أنت وأصدقائك بالفرار، خشية أن يتم القبض عليكم وإعدامكم! ألم يكن الإله العظيم، الذي أرسل ملاكين من أجلك، قادراً على حفظك، أنت ابنه الوحيد، هناك بأمان؟

"لم نصدق نحن اليهود الأساطير القديمة التي نسبت أصلاً إلهياً إلى بيرسيوس وأمفيون وإياكوس ومينوس. ومع ذلك، وحتى لا يظهروا بمظهر غير جدير بالثناء، فقد صوروا أعمال هؤلاء الأشخاص على أنها عظيمة ورائعة، وتفوق قدرة الإنسان حقًا؛ ولكن ما الذي فعلته أنت من أعمال نبيلة أو رائعة سواء في الفعل أو في القول؟ لم تُظهر لنا أي دليل، على الرغم من أنهم تحدوك في الهيكل أن تُظهر علامة لا لبس فيها على أنك ابن الله.

أما بالنسبة لتلك التصريحات التي أدليت بشأن شفائك، أو قيامتك، أو إطعام جمع غفير ببضعة أرغفة، والتي بقيت منها قطع كثيرة، أو تلك القصص الأخرى التي سجلها التلاميذ على أنها ذات طبيعة عجيبة: - حسنًا، فلنصدق أن هذه الأمور قد حدثت بالفعل على يديك. كيف تختلف هذه الخدع عن حيل البهلوانيين الذين يدّعون القيام بأشياء أكثر غرابة، وعن الأعمال الرائعة التي يؤديها أولئك الذين تعلموا من المصريين، والذين في وسط السوق، مقابل بضعة أوبولات، ينقلون معرفة فنونهم الأكثر تبجيلاً، ويطردون الشياطين من الناس، ويطردون الأمراض، ويستحضرون أرواح الأبطال، ويعرضون ولائم باهظة الثمن، وطاولات، وأطباق، وأطعمة شهية ليس لها وجود حقيقي، والذين يحركون، كما لو كانت حية، ما ليس حيوانات حية في الواقع، ولكن لها فقط مظهر الحياة؟ وبما أن هؤلاء الأشخاص قادرون على القيام بمثل هذه الأعمال، فهل نستنتج بالضرورة أنهم "أبناء الله"، أم يجب أن نعترف بأن هذه أفعال رجال أشرار تحت تأثير روح شريرة؟

"لا يمكن أن يكون جسد مثل جسدك ملكاً لله، لأن جسد الله لم يكن ليولد على هذا النحو يا يسوع. لا يتغذى جسد الإله بمثل هذا الطعام الذي كان يتغذى به جسد يسوع. إن دم يسوع الذي سُفك على الصليب لم يكن دماً سائلاً، مثل الدم الذي يجري في عروق الآلهة المباركة. لكن جسد الإله لا يستخدم صوتاً مثل صوت يسوع، ولا يستخدم أسلوباً في الإقناع مثله. كانت هذه المبادئ التي يتبناها مبادئ ساحر شرير مكروه من الله.

(وهكذا تنتهي خطبة اليهودي إلى يسوع.)

(لننتقل الآن إلى الخطاب الثاني لليهودي، إلى أولئك الذين تحولوا من اليهودية إلى المسيحية.)

"لقد تركتم شريعة آبائكم، نتيجةً لأن عقولكم كانت أسيرة ليسوع. لقد تعرضتم لخداع سخيف للغاية، وأصبحتم منشقين باسم آخر وبنمط حياة آخر. ما الذي دفعكم، يا مواطنيّ، إلى التخلي عن شريعة آبائكم، والسماح لعقولكم بأن تُقاد أسرى من قبل من تحدثنا إليه للتو، وبالتالي أن تُخدعوا بشكل مثير للسخرية، حتى تصبحوا منشقين عنا إلى اسم آخر، وإلى ممارسات حياة أخرى؟ لقد تخلى بعضكم عن عادات آبائنا تحت ذريعة التفسيرات والرموز؛ وبعضكم، على الرغم من زعمكم تفسيرها بطريقة روحية، إلا أنكم مع ذلك تلتزمون بعادات آبائنا؛ وبعضكم، دون أي تفسير من هذا القبيل، مستعدون لقبول يسوع كموضوع للنبوة، ولحفظ شريعة موسى وفقًا لعادات الآباء، باعتبارها تحمل في كلماتها كل فكر الروح. بالأمس وقبله، حين أنزلنا العقاب بالرجل الذي خدعكم، ارتددتم عن شريعة آبائكم. كيف تستمدون بداية نظامكم من عبادتنا، وعندما تحققون بعض التقدم تتعاملون معه بازدراء، مع أنه ليس لديكم أساس آخر لإثبات عقائدكم سوى شريعتنا؟

"لو أن أحداً تنبأ لنا بأن ابن الله سيزور البشر، فهو أحد أنبيائنا، ونبي إلهنا. كان يوحنا، الذي عمّد يسوع، يهودياً؛ وقد عوقب يسوع من قبل اليهود بسبب جرائمه. إن عقيدتكم بشأن قيامة الموتى، والدينونة الإلهية، والمكافآت التي ستمنح للأبرار، والنار التي ستلتهم الأشرار، هي آراء بالية، وليس هناك جديد في تعاليمكم حول هذه النقاط. التزم يسوع بجميع العادات اليهودية، بما في ذلك حتى طقوسنا المتعلقة بالذبائح.

"اللغة التي يمليها الغرور تنبع من يسوع." لقد نطق بأكاذيب كبيرة وصغيرة؛ وقطع وعوداً لم يفِ بها. سيظهر العديد من الأشخاص الآخرين كما كان يسوع، لأولئك الذين كانوا على استعداد للخداع. إن التهمة التي وجهها المسيحيون المتحولون ضد اليهود هي أنهم لم يؤمنوا بيسوع كما آمنوا بالله. كيف لنا، نحن الذين عرّفنا جميع الناس بأنه سيأتي من الله من يعاقب الأشرار، أن نتجاهله عندما يأتي؟ لماذا عاملناه، وهو الذي أعلنّا عنه مسبقاً، بإهانة؟ هل كان ذلك لكي نتعرض للعقاب أكثر من غيرنا؟

كيف لنا أن نعتبره إلهاً، وهو الذي لم يكتفِ، كما ورد في التقارير، بعدم الوفاء بأي من وعوده في جوانب أخرى، بل إنه أيضاً، بعد أن أداننناه وحكمنا عليه بأنه يستحق عقوبة الموت، وُجد وهو يحاول إخفاء نفسه، ويسعى للهرب بطريقة مخزية للغاية، وقد خانه أولئك الذين سماهم تلاميذه؟ ومع ذلك، فإن من كان إلهاً لا يمكنه أن يهرب ولا أن يُساق أسيراً؛ وأقل ما يمكن أن يُهجر ويُسلم من قبل أولئك الذين كانوا رفاقه، والذين سماهم تلاميذه، والذين شاركوا كل شيء معاً، والذين اتخذوه معلماً لهم، والذي كان يُعتبر مخلصاً، وابناً لأعظم إله، وملاكاً.

"لم يسبق أن تعرض قائد جيد وقائد جماهير غفيرة للخيانة، ولا حتى قائد شرير للصوص وقائد لرجال أشرار للغاية، بدا أنه ذو فائدة لرفاقه؛ لكن يسوع، بعد أن تعرض للخيانة من قبل مرؤوسيه، لم يحكم كقائد جيد، ولم يزرع في نفوس ضحايا خداعه، بعد أن خدعهم، ذلك الشعور بالود الذي، إذا جاز التعبير، كان سيظهر تجاه زعيم قطاع طرق.

"على الرغم من أنني أستطيع أن أذكر أشياء كثيرة تتعلق بأحداث حياة يسوع والتي هي صحيحة، وليست مثل تلك التي سجلها التلاميذ، إلا أنني أحذفها عن قصد. أما تلاميذ يسوع، لعدم وجود حقيقة لا شك فيها يعتمدون عليها، فقد اختلقوا خرافة أنه كان يعلم كل شيء قبل حدوثه. كتب تلاميذ يسوع مثل هذه الروايات عنه، كوسيلة لتخفيف التهم الموجهة ضده: كما لو أن أحدهم سيقول إن شخصًا ما كان رجلاً بارًا، ومع ذلك سيُظهر أنه مذنب بالظلم؛ أو أنه كان تقيًا، ومع ذلك ارتكب جريمة قتل؛ أو أنه كان خالدًا، ومع ذلك مات؛ مع إرفاق كل هذه الأقوال بملاحظة أنه تنبأ بكل هذه الأشياء.

"لأنك لا تدعي حتى هذا، أنه بدا للأشرار أنه يعاني من هذا العقاب، مع أنه لم يكن يعاني منه في الواقع؛ بل على العكس من ذلك، أنت تقر بأنه عانى علانية. كيف يُعقل أن يكون يسوع قد تنبأ بهذه الأمور؟ كيف يمكن للرجل الميت أن يكون خالداً؟ أي إله، أو روح، أو إنسان حكيم، إذا رأى أن مثل هذه الأحداث ستحدث له، فإنه سيتجنبها إن استطاع؛ بينما هو يندفع بكل قوته إلى تلك الأشياء التي كان يعلم مسبقاً أنها ستحدث؟

"كيف يكون الأمر كذلك، إذا كان يسوع قد أشار مسبقاً إلى كل من الخائن والشاهد الزور، أنهما لم يخشاه كإله، ولم يكفا، الأول عن خيانته المقصودة، والآخر عن شهادته الزور؟ لكن هذين الشخصين خاناه وأنكراه دون أن يبديا أي اهتمام به. دائماً ما يحدث أنه عندما يعلم الرجل الذي تُحاك ضده مؤامرة بالأمر ويُعلم المتآمرين بأنه على دراية بمخططهم، فإن هؤلاء المتآمرين يتراجعون عن هدفهم، ويظلون في حالة تأهب.

"ليس لأن هذه الأشياء تم التنبؤ بها فقد حدثت، فهذا مستحيل؛ ولكن بما أنها حدثت، فقد تبين أن التنبؤ بها كان كذباً: لأنه من المستحيل تماماً أن يقوم أولئك الذين سمعوا مسبقاً باكتشاف مخططاتهم بتنفيذ خططهم للخيانة والإنكار. لقد تنبأ بهذه الأحداث باعتباره إلهاً، ولا بد أن يتحقق هذا التنبؤ بكل الوسائل. لذلك، فإن الله، الذي ينبغي عليه فوق كل شيء أن يفعل الخير للناس، وخاصة لأهل بيته، قاد تلاميذه وأنبياءه، الذين اعتاد أن يأكل ويشرب معهم، إلى درجة من الشر، حتى أصبحوا رجالاً فاسقين وغير أتقياء. والحقيقة أن من يشارك رجلاً مائدته لا يكون مذنباً بالتآمر ضده؛ ولكن بعد أن يتناول الطعام مع الله، يصبح متآمراً. [يوحنا 13 :18.] والأمر الأكثر عبثية هو أن الله نفسه تآمر ضد أعضاء مائدته، بتحويلهم إلى خونة وأشرار!

"من كان يتناول الطعام مع رجل لا يتآمر ضده؛ وإذا كان لا يتآمر ضد رجل، فكيف يتآمر ضد إله بعد أن يتناول الطعام معه؟ والأمر الأكثر عبثية هو أن الله نفسه تآمر ضد أولئك الذين جلسوا على مائدته، بتحويلهم إلى خونة ورجال فاسقين. لو أنه قد قرر هذه الأمور، وخضع للتأديب طاعةً لأبيه، فمن الواضح أنه، لكونه إلهاً، وخضوعاً طوعياً، فإن تلك الأمور التي تم القيام بها وفقاً لقراره الخاص لم تكن مؤلمة ولا مزعجة. فلماذا يحزن وينوح ويصلي لينجو من خوف الموت، معبراً عن نفسه بعبارات كهذه: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ؟" [متى 26: 39.] يقول: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ"، مع أنه لم يحدث في ذلك الوقت شيء مؤلم أو محزن ليسوع. على الرغم من إدانتك بالكذب، إلا أنك لم تتمكن من إضفاء أي مصداقية على اختراعاتك.

"بعض المؤمنين المسيحيين، مثل الأشخاص الذين يضعون أيديهم بعنف على أنفسهم في نوبة سكر، قد أفسدوا الإنجيل عن سلامته الأصلية، إلى درجة ثلاثية ورباعية ومتعددة، وأعادوا تشكيله، حتى يتمكنوا من الرد على الاعتراضات. يستعين المسيحيون بالأنبياء الذين تنبأوا بأحداث حياة المسيح؛ على أمل تجنيب الأفراد، ولشرح النبوءات نفسها، أقر بمصداقية التفسير المسيحي لها. ومع ذلك، فإن الاستخدام الذي يقومون به لها قد يُلغى. لا ينبغي للمرء أن يتسرع في اتخاذ موقف بالغ الأهمية لأسباب تافهة. قد تنطبق هذه النبوءات على أشياء أخرى لا حصر لها باحتمالية أكبر من انطباقها على يسوع.

"يعلن الأنبياء أن القادم سيكون حاكماً عظيماً، رب جميع الأمم والجيوش. ولم يتنبأ الأنبياء بمثل هذا الوباء. من خلال هذه العلامات والتفسيرات الخاطئة، ومن خلال هذه الأدلة الواهية، لا يمكن لأحد أن يثبت أنه الله، وابن الله. فكما أن الشمس، التي تنير جميع الأشياء الأخرى، تجعل نفسها مرئية أولاً، كذلك كان ينبغي أن يفعل ابن الله. إن المسيحيين مذنبون بالاستدلال المغلوط، حين يقولون إن ابن الله هو الكلمة (اللوغوس) نفسه. عندما يعلنون أن الكلمة هو ابن الله [يوحنا 1:1]، فإنهم لا يقدمون لنا كلمة نقية ومقدسة، بل رجلاً منحطاً للغاية، عوقب بالجلد والصلب. إذا كان كلمتكم هو ابن الله، فإننا نوافق على ذلك أيضاً؛ ومع ذلك فإن النبوءات تتفق مع عشرة آلاف شيء آخر بشكل أكثر مصداقية من اتفاقها مع يسوع.

"إن واضعي الأنساب، بدافع من شعورهم بالفخر، جعلوا يسوع ينحدر من أول إنسان، ومن ملوك اليهود. لم يكن من الممكن أن تكون زوجة النجار جاهلة بهذه الحقيقة، لو كانت من سلالة مرموقة كهذه. لكن ما هي الأعمال العظيمة التي قام بها يسوع بصفته إلهاً؟ هل أخجل أعداءه، أم أنه أوصل ما كان يُدبّر ضده إلى نتيجة سخيفة؟ في باكوسيات يوربيديس، يقول ديونيسوس:—

"إنّ الإله نفسه سيحررني متى شئت."

"ولكن لم تحدث مصيبة حتى لمن أدانه، كما حدث لبينثيوس، أي الجنون أو الخداع؛ ولا للذين سخروا من يسوع، ووضعوا عليه الرداء الأرجواني، وإكليل الشوك، ووضعوا القصبة في يده. إن لم يكن من قبل، فلماذا لا يُظهر الآن على الأقل بعض مظاهر ألوهيته، ويُبرئ نفسه من هذا العار، وينتقم من أولئك الذين يهينونه ويهينون أباه؟ ما طبيعة الإيكور (دم الآلهة) في جسد يسوع المصلوب؟ هل هو مثل ما يتدفق في أجساد الآلهة الخالدة؟

"اندفع بفم مفتوح ليشرب من الخل والمرارة، ولم يستطع تحمل عطشه كما يتحمله أي رجل عادي في كثير من الأحيان. أيها المؤمنون الصادقون، أنتم تلوموننا لأننا لا نعترف بهذا الشخص إلهاً، ولا نتفق معكم على أنه تحمل هذه المعاناة من أجل منفعة البشرية، حتى نستهين نحن أيضاً بالعقاب. بل إنكم تلوموننا لأننا لم نؤمن به، بل أكدنا أنه أخرج الشياطين من نفوس البشر من خلال بعلزبول رئيس الشياطين [متى 12 :24، لوقا 11 :15]؛ وتلوموننا لأننا نحتقره ونصفه بأنه يعيش حياة متجولة كالمتشرد، ويقضي وجوداً قلقاً في جسد مخزٍ.

"لقد تحمل يسوع هذه العقوبات والمعاناة، إذ لم يربح على أحد خلال حياته، ولا حتى على تلاميذه أنفسهم. لم يُظهر يسوع نفسه على أنه بريء من كل شر، ولم يكن معصوماً من الخطأ. لن تقولوا عنه، على ما أظن، إنه بعد فشله في كسب ود أولئك الذين كانوا في هذا العالم، ذهب إلى الهاوية ليكسب ود أولئك الذين كانوا هناك. إذا كنتم، بعد اختراع دفاعات سخيفة، والتي انخدعتم بها بشكل مثير للسخرية، تتخيلوا أنكم تقدمون دفاعًا جيدًا حقًا، فما الذي يمنعكم من اعتبار أولئك الأفراد الآخرين الذين أدينوا وماتوا ميتة بائسة، رسلًا أعظم وأكثر إلهية من يسوع؟ قد يتمكن أي شخص عديم الحياء من القول، حتى فيما يتعلق بلص وقاتل نال عقابه، أن هذا الشخص ليس لصاً، بل إله، لأنه تنبأ لرفاقه اللصوص بأنه سيعاني من نفس العقاب الذي عانى منه بالفعل.

"ثم إن الذين كانوا رفاقه في حياته، والذين استمعوا إلى صوته، واستمتعوا بتعليماته كمعلم لهم، عندما رأوه يتعرض للعقاب والموت، لم يموتوا معه، ولا لأجله، ولم يُدفعوا حتى إلى احتقار العقاب، بل أنكروا حتى أنهم كانوا تلاميذه، بينما تموتون الآن معه. لم يضم يسوع، عندما كان على الأرض، إلى صفوفه سوى عشرة بحارة وجباة ضرائب من أسوأ الناس، ولم يضم حتى

جميعهم. أليس من قمة السخافة الادعاء بأنه إذا لم ينجح، أثناء حياته، في إقناع أي شخص بآرائه، فبعد وفاته يستطيع أي شخص يرغب في ذلك أن يكسب تأييد هذا العدد الكبير من الأفراد؟

"بأي منطق قادهم ذلك إلى اعتباره ابن الله؟ يجيبون بأنهم انجذبوا إليه، لأنهم يعلمون أن عقابه قد تم تحمله من أجل إحداث دمار أبو الشر. ماذا بعد؟ ألم يُعاقب الكثيرون غيرهم أيضاً، وبطريقة لا تقل خزياً؟ إنهم يعتبرون يسوع ابن الله، لأنه شفى الأعرج والأعمى؛ علاوة على ذلك، كما يؤكدون، فقد أقام الموتى.

"لكن يا نور وحق! لقد أعلن يسوع بصوته بوضوح وجلاء، كما سجلتم أنتم أنفسكم، أنه سيأتي إليكم آخرون يستخدمون معجزات من نفس النوع [متى 24:24]، وهم أشرار وسحرة؛ ويسمي من يستخدم مثل هذه الحيل شيطاناً واحداً. لذلك فإن يسوع نفسه لا ينكر أن هذه الأعمال على الأقل ليست إلهية على الإطلاق، بل هي صادرة عن رجال أشرار؛ ولأنه مجبر بقوة الحقيقة، فإنه في الوقت نفسه لم يكشف أعمال الآخرين فحسب، بل أدان نفسه بنفس الأفعال. أليس من الاستنتاج البائس إذن أن نستنتج من نفس الأعمال أن أحدهما هو الله والآخر سحرة؟ لماذا ينبغي اعتبار الآخرين أشراراً بسبب هذه الأفعال بدلاً من هذا الرجل، مع أنهم يشهدون ضده؟ لأنه هو نفسه أقر بأن هذه ليست أعمالاً ذات طبيعة إلهية، بل هي اختراعات لبعض المخادعين، ولرجال أشرار تماماً.

"يقول إن شيطاناً معيناً هو من يدبر مثل هذه الحيل؛ فعندما يقول: "سيظهر بينكم آخرون أيضاً، سيصنعون معجزات مثل معجزاتي"، ويصف من يدبر مثل هذه الأشياء بأنه شيطان واحد، حتى هو نفسه لا ينكر أن هذه الأعمال لا تحمل في طياتها شيئاً من الألوهية، بل هي أفعال أناس أشرار. إذ دفعه الحق إلى كشف أفعال الآخرين، وفي الوقت نفسه أدان نفسه بنفس الأفعال. أليس من الاستنتاج البائس من نفس الأفعال أن نستنتج أن أحدهما إله والآخر سحرة؟ لماذا يُحسب الآخرون أشراراً من هذه الأعمال، بدلاً من هذا الرجل، مع أنهم يتخذونه شاهداً على نفسه؟ وقد أقر هو نفسه بأن هذه لم تكن أعمالاً ذات طبيعة إلهية، بل كانت اختراعات لبعض المخادعين، ولرجال أشرار للغاية. بأي شيء إذن تم إقناعكم بأن تصبحوا من أتباعه؟ هل كان ذلك لأنه تنبأ بأنه سيقوم من جديد بعد موته؟

"هلم الآن، دعونا نعترف لكم بأن التنبؤ قد تم بالفعل. ومع ذلك، كم من الآخرين يمارسون مثل هذه الخدع البهلوانية، من أجل خداع مستمعيهم البسطاء، ويحققون مكاسب من خلال خداعهم؟ - كما كان الحال، كما يقولون، مع زامولكسيس في سكيثيا، عبد فيثاغورس؛ ومع فيثاغورس نفسه في إيطاليا؛ ومع رامبسينيتوس في مصر (الذي يقولون إنه لعب النرد مع ديميتر في العالم السفلي، وعاد إلى العالم العلوي بمنديل ذهبي كان قد تلقاه منها كهدية)؛ وكذلك مع أورفيوس بين الأودريسيين، وبروتسيلاوس في ثيساليا، وهرقل في رأس تايناروس، وثيسيوس. لكن السؤال هو: هل قام أي شخص مات بالفعل بجسد حقيقي. أم أنك تتخيل أقوال الآخرين ليس فقط على أنها أساطير، بل وأن لها مظهرًا مشابهًا، بينما اكتشفت أنت نهاية لائقة ومقنعة لمأساتك في الصوت المنبعث من الصليب، عندما لفظ أنفاسه الأخيرة، وفي الزلزال [متى 27 :51] والظلام؟ أنه لم يكن عوناً لنفسه وهو على قيد الحياة، ولكنه قام بعد موته، وأظهر علامات عقابه، وأظهر كيف أن يديه قد ثُقبتا بالمسامير [يوحنا 20 :27]: من رأى هذا؟ امرأة نصف مذعورة، كما ذكرت، وربما شخص آخر من أولئك الذين انخرطوا في نفس نظام الوهم، إما أنه حلم بذلك بسبب حالة ذهنية غريبة، أو تحت تأثير خيال منحرف ومتجول، فصنع لنفسه مظهرًا وفقًا لرغباته الخاصة، كما أراد هو نفسه، وهو ما حدث مع عدد لا يحصى من الأفراد؛ أو، وهو الأرجح، شخص أراد أن يثير إعجاب الآخرين بهذه النذير، ومن خلال هذه الكذبة أن يوفر فرصة للمحتالين مثله. وبناءً على ذلك، لم يُظهر يسوع بعد موته سوى مظهر الجروح التي أصيب بها على الصليب، ولم يكن في الواقع مصابًا بالجروح التي وُصفت بأنه أصيب بها.

"لو كان يسوع يرغب حقًا في إظهار قوته الإلهية، لكان عليه أن يظهر نفسه لأولئك الذين أساءوا معاملته، وللقاضي الذي أدانه، ولجميع الناس بشكل عام، دون تحفظ. لأنه لم يعد لديه سبب للخوف من أي إنسان بعد موته، كونه، كما تقولوا، إلهاً؛ ولم يُرسل إلى العالم على الإطلاق لغرض الاختباء. لو كان هذا على الأقل سيساعد في إظهار ألوهيته، لكان ينبغي عليه أن يختفي فوراً من

على الصليب. ومن منا الذي يُرسل رسولاً فيخفي نفسه حين ينبغي عليه أن يُعلن رسالته؟ بينما كان في الجسد، ولم يؤمن به أحد، كان يعظ الجميع دون انقطاع؛ ولكن عندما كان بإمكانه أن يخلق إيماناً قوياً بنفسه بعد قيامته من الموت، لم يظهر نفسه سراً إلا لامرأة واحدة نصف مجنونة، ولأصدقائه المقربين. أثناء عقابه رآه جميع الناس، ولكن بعد قيامته رآه واحد فقط، بينما كان ينبغي أن يحدث العكس.

"هو الذي سيقود الأتقياء إلى النور، والذي سيرحم الآخرين سواء أذنبوا أم تابوا. إذا كان يرغب في البقاء مختبئاً، فلماذا سُمع صوت من السماء يعلن أنه ابن الله؟ وإذا لم يسعَ إلى الاختباء، فلماذا عوقب؟ أو لماذا مات؟ لماذا عوقب إذا كان يرغب في البقاء مختبئاً؟ لو كان قد أراد، من خلال العقوبات التي تحملها، أن يعلمنا أيضاً أن نحتقر الموت، لكان بعد قيامته قد دعا جميع الناس علناً إلى النور، وأرشدهم إلى هدف مجيئه. كل هذه التصريحات مأخوذة من كتبكم الخاصة، والتي لا نحتاج إلى شاهد آخر بالإضافة إليها؛ لأنكم تسقطون على سيوفك بأنفسكم.

"يا أيها العلي السماوي! ما هو الإله الذي، عند ظهوره للناس، يُستقبل بالشك؟ أي إله ظهر بين البشر يُستقبل بالشك، وذلك أيضاً عندما يظهر لأولئك الذين ينتظرونه؟ أو لماذا، يا ترى، لا يتعرف عليه أولئك الذين يبحثون عنه منذ زمن طويل؟ يستخدم يسوع التهديدات، ويوبخ الناس لأسباب تافهة، عندما يقول: "ويل لكم"، و"أخبركم مسبقاً". لأنه من خلال هذه التعبيرات يعترف بوضوح بعدم قدرته على الإقناع؛ وهذا لن يكون الحال مع إله، أو حتى رجل حكيم.

"إننا نأمل بالتأكيد أن يكون هناك قيامة جسدية، وأن نتمتع بحياة أبدية؛ وسيكون المثال والنموذج الأصلي لذلك هو الذي سيرسل إلينا، والذي سيُظهر أنه لا شيء مستحيل عند الله. لقد تنبأ نبي واحد بمجيء المسيح؛ فأين هو إذن، حتى نراه ونؤمن به؟ هل جاء يسوع إلى العالم لهذا الغرض، لكي لا نؤمن به؟ لذلك كان رجلاً، وله طبيعة تثبتها الحقيقة نفسها، ويبرهن عليها العقل.

(وهكذا ينتهي خطاب اليهودي.)

ظل حمار

إن الخلاف بين اليهود والمسيحيين هو خلاف سخيف للغاية؛ فالمناقشات التي يجرونها مع بعضهم البعض بشأن المسيح لا تختلف بأي حال من الأحوال عما يسمى في المثل، "شجار على ظل حمار". لا يوجد شيء ذو أهمية في تحقيقات اليهود والمسيحيين: فكلاهما يعتقد أن الروح القدس تنبأ بمجيء شخص ما كمخلص للجنس البشري، لكنهما لا يتفقان بعد على ما إذا كان الشخص الذي تم التنبؤ به قد جاء بالفعل أم لا. لقد عانى اليهود من أتباع يسوع، الذين آمنوا به باعتباره المسيح، من نفس المعاملة التي أنزلوها بالمصريين؛ وكان السبب الذي أدى إلى الوضع الجديد في كلتا الحالتين هو التمرد على الدولة.

إن العبرانيين، كونهم مصريين في الأصل، يؤرخون بداية وجودهم السياسي من وقت تمردهم، وفي أيام يسوع تمرد آخرون من اليهود ضد الدولة اليهودية، وأصبحوا أتباعه. كانت الثورة هي البداية الأصلية للدولة اليهودية القديمة، ولاحقاً للمسيحية. لو رغب جميع الرجال في أن يصبحوا مسيحيين، لما رغب هؤلاء في مثل هذه النتيجة. غادر العبرانيون مصر بعد أن ثاروا على المصريين، وتوجهوا إلى فلسطين، واحتلوا الأرض التي تسمى الآن يهودا. كان المسيحيون في البداية قلة في العدد، وكانوا يحملون نفس الآراء؛ ولكن عندما أصبحوا حشدًا كبيرًا، انقسموا وتفرقوا، وكان كل منهم يرغب في أن يكون له حزبه الخاص: لأن هذا كان هدفهم منذ البداية.

كان جميع المسيحيين متفقين في الرأي عندما كان عدد المؤمنين قليلاً في البداية. عندما ازداد عدد المسيحيين بشكل كبير، انقسموا إلى فصائل، وكان كل فرد يرغب في أن يكون له حزبه الخاص. وبسبب هذا الانفصال من خلال أعدادهم، فإنهم يدحضون

بعضهم بعضاً، ومع ذلك لا يزال لديهم، إذا جاز التعبير، اسم واحد مشترك، إن كانوا لا يزالون يحتفظون به بالفعل. وهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يزالون يخجلون التخلي عنه، بينما يتم تحديد الأمور الأخرى بطرق مختلفة من قبل الطوائف المختلفة.

إن اتحادهم يكون أكثر روعة كلما أمكن إثبات أنه لا يستند إلى سبب جوهري؛ ومع ذلك فإن التمرد هو سبب جوهري، وكذلك المزايا التي تنجم عنه، والخوف من الأعداء الخارجيين. هذه هي الأسباب التي تمنح الاستقرار لإيمانهم. وبإخفاء طبيعة أصلهم، فإنهم يغرسون في أذهان المتحولين الأوائل ازدراءً للأصنام والصور بجميع أنواعها.

لكن يا لها من أساطير من كل نوع يجمعونها؛ يا لها من أهوال يختلقونها! إنهم ينسجون آراءً خاطئة مستمدة من مصادر قديمة، وينشرونها بصوت عالٍ، ويعلنونها أمام الناس، كما يفعل كهنة سيبيل عندما يقرعون الصنوج في آذان أولئك الذين يتأهلون في أسرارهم. يمكن للمرء أن يقارن بنود عقيدتهم ببنود عقيدتهم عند المصريين القدماء، حيث ترى عند اقترابك من مبانيهم المقدسة حظائر رائعة، وبساتين، وبوابات كبيرة وجميلة، ومعابد رائعة، وخيام فخمة تحيط بها، وطقوس عبادة مليئة بالخرافات والأسرار؛ ولكن عندما تدخل وتمر من الداخل، ترى أن معبود العبادة هو قطة، أو قرد، أو تمساح، أو ماعز، أو كلب!

يؤكد المصريون أن هذه الحيوانات هي نوع من رموز الله، كما اعتاد أنبياؤهم أن يسموها؛ وينشأ انطباع في أذهان أولئك الذين تعلموا هذه الأشياء، بأنهم لم يتأهلوا عبثاً. إن المسيحيين يصدون كل حكيم عن عقيدة إيمانهم، ولا يدعون إلا الجاهلين والعاميين؛ ويبدو أن المسيحية موضع تبجيل لرجال الطبقة الأكثر خضوعاً فقط. إنهم يسخرون من المصريين، على الرغم من أنهم يقدمون لنا العديد من الألغاز التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون حقيرة للنظر فيها، عندما يعلموننا أن مثل هذه الطقوس هي أعمال عبادة تُقدم لأفكار أبدية، وليست، كما يعتقد الكثيرون، لحيوانات زائلة. إن المسيحيين حمقى، لأنهم لا يقدمون في رواياتهم عن يسوع أي شيء أنبل من الماعز والكلاب التي كان يعبدها المصريون. إن الأسرار الباطنية لكنيسة الله ليست أسمى من القطط والقرود والتماسيح والماعز والكلاب في مصر.

ظهور أسكليبيوس بين البشر

لقد حدثت معجزات في جميع البلدان، أو على الأقل في العديد منها. منح أسكليبيوس فوائد لكثيرين، وتنبأ بأحداث مستقبلية لمدن بأكملها، والتي كانت مخصصة له، مثل تريكا وإبيداوروس وكوس وبرغاموس؛ وإلى جانب أسكليبيوس، أريستياس البروكونيسوس، وشخص معين من كلازومينيان، وكليوميدس الأستيبالي. يعتقد الإغريق أن الديوسكوري، وهرقل، وإسكليبيوس، وديونيسوس، قد أصبحوا آلهة بعد أن كانوا بشرًا. لكن المسيحيين لا يستطيعون أن يطلقوا على هذه الكائنات اسم الآلهة، لأنهم كانوا في البداية بشرًا، ومع ذلك فقد أظهروا العديد من الصفات النبيلة، والتي تم عرضها لمنفعة البشرية، بينما يؤكدون أن يسوع قد شوهد بعد موته من قبل أتباعه. لقد شوهد بالفعل، لكنه لم يكن سوى ظل! لم يظهر يسوعهم بعد موته إلا لأفراد جماعته.

إن حشداً كبيراً لا يُحصى من اليونانيين والبرابرة على حد سواء يعترفون بأنهم رأوا مراراً، ولا يزالون يرون، ليس مجرد شبح، بل أسكليبيوس نفسه، وهو يشفي ويفعل الخير ويتنبأ بالمستقبل. إذن، فيما يتعلق بأريستياس البروكونيسوس، الذي اختفى من بين الناس بطريقة تدل على التدخل الإلهي، والذي ظهر مرة أخرى بطريقة لا لبس فيها، وفي مناسبات لاحقة عديدة زار أجزاء كثيرة من العالم، وأعلن عن أحداث عجيبة، والذي أمر أبولو سكان ميتابونتيوم باعتباره إلهاً، لا أحد يعتبره إلهاً. اختفى أريستياس بتدخل من الإله وأصدر إعلانات رائعة؛ وعلاوة على ذلك، كان هناك وحي لأبولو يأمر الميتابونتيين بمعاملة أريستياس كإله. ولا يعتبر أحد أباريس الهايبربوري إلهاً، كان يمتلك قوة تجعله يُحمل كالسهم من القوس.

لننتقل الآن إلى دراسة حالة الكلازوميني. ألا يذكرون أن نفسه كانت تغادر جسده في كثير من الأحيان، وتتنقل في شكل غير مادي؟ ومع ذلك لم يعتبره الناس إلهاً. أروي كذلك ما قيل عن كليوميدس من أستيباليا، الذي دخل في تابوت، وعلى الرغم من أنه كان محبوساً بداخله، إلا أنه لم يُعثر عليه فيه، ولكن من خلال ترتيب إلهي ما، طار للخارج، عندما قام بعض الأشخاص بفتح

التابوت من أجل القبض عليه. ويمكن للمرء أن يذكر العديد من الأمثلة الأخرى من نفس النوع. إن عبادتهم لمن تم أسره وقتله، إنما تشبه عبادة الجيتيين الذين يعبدون زامولكسيس، والكيليكيين الذين يعبدون موبسوس، والأكارنانيين الذين يقدمون التكريم الإلهي لأمفيلوخوس، ومثل أهل طيبة الذين يفعلون الشيء نفسه مع أمفياراوس، والليباديين مع تروفونيوس. إن المصريين، بعد أن تعلموا عبادة أنطينوس، المفضل لدى أدريان، لن يقبلوا مقارنته بأبولو أو زيوس، على الرغم من أن التكريم الذي يُقدم له لا يقل كثيراً عن التكريم الذي يقدمه المسيحيون ليسوع.

إن الإيمان، بعد أن استولى على عقولهم، يجعلهم يستسلمون للموافقة التي يقدمونها لعقيدة يسوع؛ لأنه في الحقيقة هو الإيمان الذي ينتج مثل هذه الموافقة. إنهم يعتبرون يسوع هذا، الذي لم يكن سوى جسد فانٍ، يُظهر كل الضعف والشوائب التي تنتمي إلى الجسد، إلهاً، ويفترضون أنهم يتصرفون بتقوى في فعلهم هذا. أود أن أقارن جسد يسوع الفاني بالذهب والفضة والحجر؛ فالأول أكثر عرضة للفساد من الأخير. حسناً، بعد أن يتخلى عن هذه الصفات، سيصبح إلهاً: وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يكون مثل أسكليبيوس، وديونيسوس، وهرقل؟ إنهم يسخرون من أولئك الذين يعبدون جوبيتر، لأن قبره يقع في جزيرة كريت؛ ومع ذلك فهم يعبدون من قام من القبر، على الرغم من جهلهم بالأسس التي يتبعها الكريتيون في ممارسة مثل هذه العادة.

بعض الأفراد القلائل جداً الذين يعتبرون مسيحيين، من الطبقة الأكثر ذكاءً، يعترضون على عقيدة يسوع. وهكذا فإن القواعد التي وضعوها هي كالتالي: - لا يأتي إلينا أحد ممن تلقى تعليماً، أو ممن هو حكيم أو عاقل، لأن هذه المؤهلات تعتبر شريرة في نظرنا؛ ولكن إذا كان هناك أي جاهل، أو غير ذكي، أو غير متعلم، أو أحمق، فليأتوا بثقة. بهذه الكلمات، وباعترافهم بأن هؤلاء الأفراد جديرون بإلههم، فإنهم يظهرون بوضوح أنهم لا يرغبون في التغلب إلا على الحمقى واللئيمين والأغبياء، وأنهم قادرون على ذلك. إن معلمي الكلمة الإلهية لا يرغبون في استقطاب إلا الأفراد الحمقى والمنحطين، والأشخاص الذين يفتقرون إلى الفهم، والعبيد، والنساء، والأطفال.

لماذا يُعتبر من الشر أن يكون المرء متعلماً، وأن يدرس أفضل الآراء، وأن يمتلك حقيقة الحكمة ومظهرها؟ ما العائق الذي يمثله هذا أمام معرفة الله؟ لماذا لا يكون التعليم بالأحرى وسيلة مساعدة، ووسيلة تمكن المرء من الوصول إلى الحقيقة بشكل أفضل؟ وعلاوة على ذلك، من الأمور الممتازة أن يكون الرجل حكيماً، ولكن لا يبدو كذلك. بل إننا نرى بالفعل أن حتى أولئك الأفراد الذين يؤدون في الأسواق أكثر الحيل المخزية، والذين يجمعون الحشود حولهم، لن يقتربوا أبدًا من تجمع الحكماء، ولن يجرؤوا على عرض فنونهم واستعراض حيلهم أمامهم؛ ولكن أينما رأوا شبانًا، وحشدًا من العبيد، وتجمعًا من الحمقى وغير الأذكياء، فإنهم يندفعون إلى هناك، ويستعرضون أنفسهم.

نرى بالفعل في البيوت الخاصة عمال الصوف والجلود، وعمال الدباغة، وأشخاصاً ذوي طبيعة ريفية وغير متعلمة، لا يجرؤون على التلفظ بكلمة واحدة في حضرة أسيادهم الأكبر سناً والأكثر حكمة؛ ولكن عندما يمسكون بالأطفال على انفراد، وبعض النساء الجاهلات مثلهم، فإنهم يطلقون تصريحات غريبة، مفادها أنه لا ينبغي للأطفال أن يصغوا إلى آبائهم ومعلميهم، بل يجب عليهم طاعتهم؛ وأن الآباء حمقى وأغبياء، ولا يعرفون ولا يستطيعون فعل أي شيء جيد حقاً، لأنهم منشغلون بتفاهات فارغة؛ وأنهم وحدهم يعرفون كيف ينبغي أن يعيش البشر، وأنه إذا أطاعهم الأطفال، فسيكونون سعداء هم أنفسهم، وسيجعلون بيوتهم سعيدة أيضاً. وبينما هم يتحدثون هكذا، إذا رأوا أحد معلمي الشباب يقترب، أو أحد أفراد الطبقة الأكثر ذكاءً، أو حتى الأب نفسه، فإن الأكثر خجلاً منهم يخافون، بينما يحرض الأكثر جرأة الأطفال على التخلص من النير، هامسين بأنهم في حضور الأب والمعلمين لن يشرحوا لهم ولن يستطيعوا شرح أي شيء جيد، لأنهم ينفرون من حماقة وغباء هؤلاء الأشخاص باعتبارهم فاسدين تمامًا، ومتقدمين في الشر، ومن شأنهم أن يعاقبوهم؛ ولكن إذا أرادوا الاستفادة من مساعدتهم فعليهم ترك والدهم ومعلميهم، والذهاب مع النساء ورفاقهم في اللعب إلى غرف النساء، أو إلى متجر الجلود، أو إلى متجر الصبغ، حتى يتمكنوا من بلوغ الكمال؛ - وبكلمات كهذه يكسبونهم.

هؤلاء الأكثر بساطة من البشر يحرضون الصبية الصغار على الشر، والنساء على ترك آبائهن ومعلميهن، واتباعهم، ويصفون هؤلاء المعلمين بالتافهين والحمقى، الذين يعلمون أشياء أفضل. إنني لا أحمل تهمة أشد مما تقتضيه الحقيقة، ويمكن لأي شخص أن يرى ذلك من الملاحظات التالية. أولئك الذين يدعون للمشاركة في أسرار أخرى، يعلنون على النحو التالي: "كل من له يدين نظيفتين ولسان حكيم"؛ وآخرون يقولون: "من هو طاهر من كل دنس، ونفسه لا تشعر بالشر، ومن عاش حياة طيبة وعادلة". هذا هو الإعلان الذي يصدر عن أولئك الذين يعدون بالتطهير من الذنوب. لكن دعونا نستمع إلى نوعية الأشخاص الذين يدعوهم هؤلاء المسيحيون. ويقولون: كل من هو خاطئ، ومن هو عديم الفهم، ومن هو طفل، وبشكل عام كل من هو بائس، سيقبل في ملكوت الله. يقولون إن الله قد أُرسل إلى الخطاة. ألا تدعونه آثماً إذاً، وهو ظالم، وسارق، ومقتحم بيوت، ومسمّم، ومدنس للمقدسات، وسارق للموتى؟ ما هي الشخصيات الأخرى التي قد يدعوها الرجل إذا كان يصدر إعلاناً لتجمع اللصوص؟

لماذا لم يُرسل إلى الذين كانوا بلا خطيئة؟ ما هو الشر الذي لا يرتكبه المرء من الخطيئة؟ ويؤكدون أن الله سيقبل الرجل الظالم إذا تواضع بسبب شره، ولكنه لن يقبل الرجل الصالح [متى 9 :13]، على الرغم من أنه ينظر إليه بإجلال، وقد تزين بالفضيلة منذ البداية. إن الأشخاص الذين يترأسون المحاكمة بشكل صحيح يجعلون أولئك الذين يبكون أمامهم على أفعالهم السيئة يكفون عن بكائهم المثير للشفقة، خشية أن تُحدد أحكامهم بالشفقة بدلاً من مراعاة الحق؛ بينما الله لا يحكم وفقاً للحق، بل وفقاً للتملق! هذا صحيح على ما يبدو، وهو أن الجنس البشري يميل بطبيعته إلى الخطيئة. إذن، ينبغي دعوة جميع البشر دون تمييز، لأنهم جميعاً خطاة. لماذا هذا التفضيل للمذنبين على غيرهم؟

إنهم يطلقون هذه المواعظ من أجل هداية الخطاة، لأنهم لا يستطيعون إقناع أي شخص صالح وصالح حقًا، ولذلك يفتحون أبوابهم لأكثر الناس انحطاطًا وضلالًا. أحيانًا أيضًا، عندما يكون الرجال المنبوذون للغاية على استعداد لقبول عقيدة عقاب الآخرة، بسبب الأمل الذي يقوم على التوبة، فإن عادتهم في ارتكاب الخطيئة تمنعهم من ذلك، فهم مغموسون باستمرار، كما لو كانوا مصبوغين بالشر، ولم يعد لديهم القدرة على التحول منه بسهولة إلى حياة سليمة، وحياة منظمة وفقًا للعقل السليم. ومع ذلك، فمن الواضح للجميع أنه لا يمكن لأحد أن يحدث تغييراً كاملاً في أولئك الذين هم خطاة بالفطرة والعادة، سواء عن طريق التأديب أو العقاب، ناهيك عن المعاملة الرحيمة. إن تغيير الطبيعة أمر صعب للغاية. أما الذين لا خطيئة لهم فهم شركاء في حياة أفضل.

يقولون إن الله قادر على كل شيء. صحيح، لكنه لن يرغب في فعل أي شيء شرير. أولئك الذين يميلون إلى الخطيئة بطبيعتهم وعادتهم، لا يمكن لأحد أن يصلحهم ويغيرهم للأفضل بشكل كامل؛ إن تغيير الطبيعة بالكامل أمر في غاية الصعوبة. وكأن الله، مثل أولئك الذين تغمرهم الشفقة، تغمره هو نفسه، فيخفف معاناة الأشرار بالشفقة على أنينهم، ويرفض الصالحين الذين لا يفعلون شيئاً من هذا القبيل، وهذا قمة الظلم!

يقول أحد معلمي مذهبهم: "الحكماء يرفضون ما نقول، إذ يضلون ويوقعون في شرك حكمتهم". يروي سفير المسيحية أموراً سخيفة؛ لا يؤمن أي حكيم بالإنجيل، إذ ينفر منه الجموع التي تتمسك به. يتصرف معلم المسيحية كشخص يعد بإعادة المرضى إلى صحتهم الجسدية، ولكنه يمنعهم من استشارة الأطباء المهرة، الذين سيكشفون جهله. إنهم يسعون وراء غير الأذكياء، بخطاباتهم المبتذلة. قال أحد المعلمين المسيحيين لمعارفي: "أنا وحدي سأخلصكم". يحذرون من أن الأطباء الحقيقيين يدمرون أولئك الذين يعدون بشفائهم.

يتصرف معلمهم كرجل ثمل، يدخل في صحبة السكارى، فيتهم الرصينين بالثمالة. مثل هذا الشخص، معلمهم، وسط مجموعة من المصابين بمرض الرَّمَد، يتهم أصحاب البصر الحاد بالعمى. هذه هي التهم التي يجب أن أوجهها إليهم، وغيرها من التهم المماثلة، لا أن أعددها واحدة تلو الأخرى، وأؤكد أنهم على خطأ، وأنهم يتصرفون بوقاحة تجاه الله، من أجل خداع الأشرار بآمال فارغة، وإقناعهم بازدراء الأشياء الأفضل، قائلين إنه إذا امتنعوا عنها فسيكون ذلك أفضل لهم. وهكذا يتم استمالتهم من خلال آمال زائفة.

لماذا نزل الله؟

لكن أن يصر بعض المسيحيين وجميع اليهود، الأولون على أنه قد نزل بالفعل، والآخرون على أنه سينزل، على الأرض إله معين، أو ابن إله، سيجعل سكان الأرض أبراراً، هو ادعاء وقح للغاية، ولا يحتاج دحضه إلى الكثير من الكلمات. يقول المسيحيون إنه قد أتى بالفعل، لكن اليهود يقولون إن مجيئه كمسيح لا يزال في المستقبل. ما معنى هذا النزول من جانب الله؟ هل كان ذلك من أجل معرفة ما يدور بين البشر؟ ألا يعلم كل شيء؟ وإذا كان يعلم، فلماذا لا يجعل البشر أفضل؟ أليس من الممكن إذن أن يجعل البشر أفضل بفضل قدرته الإلهية، إلا إذا أرسل شخصاً ما لهذا الغرض الخاص؟ إذن، الله يعلم كل شيء حقاً، لكنه لا يجعل البشر أفضل، ولا يستطيع أن يفعل ذلك بقوته الإلهية! إذا نزل الله نفسه إلى البشر، فإنه يكون قد ترك مسكنه، مع أنه لو غيرت شيئًا واحدًا، ولو كان أصغر شيء، على الأرض، لانقلبت كل الأشياء واختفت.

أفترض الآن أن الله، لكونه مجهولاً بين البشر، ولأنه يعتبر نفسه بسبب ذلك أقل مما يستحق، يرغب في أن يُعرف نفسه، وأن يختبر كلاً من المؤمنين به وغير المؤمنين به، مثل أولئك من البشر الذين حصلوا مؤخراً على الثروات، والذين يتباهون بثرواتهم؛ وهكذا يشهدون على طموح مفرط ولكنه دنيوي للغاية من جانب الله. إن الله لا يرغب في أن يُعرف نفسه لذاته، بل لأنه يريد أن يمنحنا معرفة نفسه من أجل خلاصنا، حتى يصبح الذين يقبلونها فاضلين وينالوا الخلاص، بينما يُظهر الذين لا يقبلونها أنهم أشرار ويعاقبون. بعد كل هذه المدة الطويلة، هل فكر الله الآن في جعل الناس يعيشون حياة صالحة، بينما كان يهمل القيام بذلك من قبل؟ من الواضح تماماً أنهم يتحدثون عن الله بطريقة ليست مقدسة ولا توقيرة، مثل أولئك الذين يقدمون في أسرار باكوس الأشباح وأشياء الرعب.

وقد انتشر الاعتقاد بينهم، نتيجة لسوء فهم روايات هذه الأحداث، بأنه بعد دورات زمنية طويلة، وعودة الكواكب واقترانها، من المعتاد أن تحدث الحرائق والفيضانات. لأنه بعد الطوفان الأخير، الذي حدث في زمن ديوكاليون، فإن مرور الوقت، بما يتوافق مع تقلبات كل الأشياء، يتطلب حريقًا هائلاً، مما جعلهم يتبنون الرأي الخاطئ بأن الله سينزل، وينزل حاملاً نارًا مثل المعذب.

اللاهوت الحقيقي

ومرة أخرى، دعونا نستأنف الموضوع من البداية، مع مجموعة أكبر من البراهين. ولا أدلي بتصريح جديد، بل أقول ما تم الاتفاق عليه منذ زمن طويل. الله خير وجميل ومبارك، وذلك بأفضل وأجمل صورة. لكن إذا نزل بين الناس، فلا بد أن يمر بتغيير، وتغيير من الخير إلى الشر، ومن الفضيلة إلى الرذيلة، ومن السعادة إلى البؤس، ومن الأفضل إلى الأسوأ. إذن، من سيختار مثل هذا التغيير؟ إن طبيعة الإنسان الفاني، في الواقع، أن يخضع للتغيير وإعادة التشكيل، أما طبيعة الخالد فهي أن يبقى على حاله دون تغيير. إذن، لا يمكن لله أن يقبل بمثل هذا التغيير.

إما أن الله يغير نفسه فعلاً، كما يزعم هؤلاء، إلى جسد بشري، وقد تم الإعلان بالفعل عن استحالة ذلك؛ أو أنه لا يخضع للتغيير، بل يجعل الناظرين يتخيلون ذلك فقط، وبالتالي يخدعهم، ويكون مذنباً بالكذب. إن الخداع والكذب ليسا إلا شروراً، ولا يُستخدمان إلا كدواء، إما في حالة الأصدقاء المرضى والمجانين، بهدف علاجهم، أو في حالة الأعداء عندما يتخذ المرء تدابير للهروب من الخطر. لكن ليس هناك مريض أو مجنون صديق لله، ولا يخشى الله أحداً لدرجة أن يتجنب الخطر بإضلاله. إن الله لا يخشى أحداً، حتى ينجو من الخطر بإضلال المتآمرين ضده، ولا أحد في حالة مرض أو جنون هو صديق لله.

وفيما يتعلق بهذا المجيء، يعلم اليهود أن الحياة البشرية، المليئة بكل شر، كانت بحاجة إلى مرسل من الله، لكي يُعاقب الأشرار، وتُطهر كل الأشياء بطريقة مماثلة للطوفان الأول الذي حدث. ويدلي المسيحيون بتصريحات إضافية إلى هذا. موسى، الذي كتب قصة البرج وتشتت الألسنة، قد حرّف قصة أبناء ألويوس، ونسبها إلى البرج. إن تدمير سدوم وعمورة بالنار، علاوة على ذلك، بسبب خطاياهم، كما رواه موسى في سفر التكوين، يشبه قصة فايثون. يؤكد المسيحيون، من خلال تقديم بعض [تكوين 19 :24]

البيانات الإضافية إلى جانب بيانات اليهود، أن ابن الله قد أُرسل بالفعل بسبب خطايا اليهود؛ وأن اليهود، بعد أن عاقبوا يسوع وأعطوه المر، قد جلبوا على أنفسهم الغضب الإلهي.

النمل والديدان

إن نسل اليهود والمسيحيين جميعهم يشبه سربًا من الخفافيش أو سربًا من النمل يخرج من عشه، أو ضفادع تتشاور في مستنقع، أو ديدان تزحف معًا في زاوية كومة روث، وتتشاجر فيما بينها حول أيها أشد إثمًا، وتزعم أن الله يُظهر ويُعلن لهم كل شيء مسبقًا؛ وأنه، بعد أن تخلى عن العالم بأسره، وعن عوالم السماء، وعن هذه الأرض العظيمة، أصبح مواطنًا بينهم وحدهم، ولهم وحدهم يُرسل إشاراته، ولا يكف عن الإرسال والاستفسار، كيف يمكنهم الارتباط به إلى الأبد. إنهم مثل الديدان التي تؤكد وجود إله، وأنه خلقنا على شبهه تماماً؛ وأن كل شيء قد خضع لنا - الأرض والماء والهواء والنجوم - وأن كل شيء موجود من أجلنا، ومقدر له أن يخضع لنا. تقول الديدان - أي هم أنفسهم - إنه الآن، بما أن بعضنا يرتكب الخطيئة، فإن الله سيأتي إلينا أو سيرسل ابنه ليحرق الأشرار بالنار، حتى ينال الباقون منا الحياة الأبدية معه. إن مثل هذه المشاحنات ستكون أكثر احتمالاً بين الديدان والضفادع من أن تكون بين اليهود والمسيحيين الذين يتشاجرون مع بعضهم البعض!

يقول المسيحيون إن الله، بعد أن هجر العوالم السماوية، واحتقر هذه الأرض العظيمة، اتخذ مسكنه بينهم وحدهم، ولهم وحدهم يعلن رسائله، ولا يكف عن إرسال رسائله واستفساراته حول كيفية أن يصبحوا رفقاءه إلى الأبد. كان اليهود هاربين من مصر، ورغم أنهم محبوبون من الله، إلا أنهم لم يقوموا بأي شيء جدير بالذكر، ولم يحظوا بأي سمعة أو تقدير! أول أسفار موسى يحمل عنوان "سفر التكوين". وبناءً على ذلك، سعى اليهود إلى استنتاج أصلهم من أول سلالة من المشعوذين والمخادعين، مستندين إلى شهادة كلمات غامضة ومبهمة، كان معناها محجوباً بالغموض، والتي أساءوا تفسيرها لغير المتعلمين والجهلة، وذلك أيضاً في حين لم يتم التشكيك في مثل هذه النقطة خلال الفترة الطويلة السابقة. فيما يتعلق بتلك الأسماء التي يستنتج منها اليهود أنسابهم، لم يكن هناك أي خلاف حول هذه الأسماء خلال الفترة السابقة الطويلة، ولكن في الوقت الحاضر يتنازع اليهود بشأنها مع أسماء أخرى معينة.

يثبت التاريخ مزاعم العصور القديمة العظيمة التي طرحتها العديد من الأمم، مثل الأثينيين والمصريين والأركاديين والفريجيين، الذين يؤكدون أن أفرادًا معينين قد وُجدوا بينهم انبثقوا من الأرض، ويقدم كل منهم أدلة على هذه المزاعم. إذن، اليهود، الذين كانوا يعيشون حياةً بائسةً في ركنٍ ما من فلسطين، وكانوا شعباً جاهلاً تماماً، لم يسمعوا أن هذه الأمور قد تم تدوينها شعراً منذ زمن بعيد على يد هسيودوس وعدد لا يحصى من الرجال المُلهمين الآخرين، نسجوا معاً بعض القصص التي لا تُصدق والتي لا قيمة لها، وهي أن رجلاً معيناً قد خُلق على يد الله، ونفخ فيه نَفَس الحياة. [سفر التكوين 2 :7.] وهكذا، بعد أن صنع الله بيديه، نفخ في الإنسان نفخة من النَفَس. أُخذت امرأة من جنبه، وأصدر الله أوامر معينة، وعارضت الحية هذه الأوامر، وانتصرت على أوامر الله؛ فقد عارضت الحية الأوامر التي أعطاها الله للرجل. وهكذا يروون بعض الخرافات القديمة، ويصورون الله بشكل أكثر إثماً على أنه ضعيف في بداية الأشياء، وغير قادر على إقناع وكسب طاعة حتى إنسان واحد خلقه بنفسه.

يشعر الأكثر تواضعاً من اليهود والمسيحيين بالخجل من هذه الأمور، ويسعون إلى تقديمها بطريقة أو بأخرى بدلالة رمزية. ثم يتحدثون عن الطوفان، وعن سفينة ضخمة، تحتوي على كل شيء، وعن حمامة وغراب كرسل، يزيفون ويغيرون قصة ديوكاليون بتهور؛ لا أتوقع، على ما أعتقد، أن هذه الأشياء ستظهر للعلن، بل يتخيلون أنهم يختلقون قصصًا للأطفال الصغار فقط. إن قصة إنجاب الأطفال، ومؤامرات الإخوة، وحزن الأب، والأساليب الماكرة للأمهات، كلها سخيفة وغير مناسبة للوقت. أعطى الله أبناءه الحمير والأغنام والجمال! أعطى الله الآبار أيضاً للصالحين. قصة لوط وبناته أسوأ من جرائم ثيستيس. تصف الرواية كراهية الأخ للأخ الآخر، وإخوة غدروا غدراً بسبب الإهانة التي وُجهت لأختهم التي انتهكها ابن ملك، وإخوة يبيعون بعضهم بعضاً، وأخاً يُباع، وأباً يُخدع. إنهم يروون أحلام كبير الخدم وكبير الخبازين، وفرعون، وتفسيرها، ونتيجة لذلك تم إخراج يوسف من السجن لكي يعهد إليه فرعون بالمركز الثاني في مصر.

أما الذي بيع فقد أحسن معاملة إخوته الذين باعوه، عندما كانوا يعانون من الجوع، وأرسلوا مع حميرهم لشراء المؤن. عرّف يوسف نفسه لإخوته؛ يوسف، الذي كان قد بيع كعبد، استعاد حريته، وصعد في موكب مهيب إلى جنازة والده. [سفر التكوين 50 :7.] الذي أمر به (يوسف) الأمة اليهودية اللامعة والإلهية، بعد أن نشأت في مصر لتصبح جماعة كبيرة من الناس، أن تقيم في مكان ما خارج حدود المملكة، وأن ترعى قطعانها في مناطق لا سمعة لها.

أما الأكثر تواضعاً من بين الكتاب اليهود والمسيحيين فيسعون بطريقة أو بأخرى إلى إضفاء دلالة رمزية على هذه القصص، ويلجؤون إلى الرمزية لأنهم يخجلون من هذه الأمور. لكن كتاباتهم غير قادرة على قبول معنى رمزي؛ بل على العكس من ذلك فهي اختراعات مبتذلة وسخيفة للغاية، وأولئك الذين يعطونها تفسيراً رمزياً ينتهكون معنى الكتاب. إن التفسيرات الرمزية التي تم ابتكارها أكثر إثارة للخزي والعبث من الخرافات نفسها، حيث أنها تسعى إلى الجمع بين أشياء رائعة وحمقاء تمامًا لا يمكن التوفيق بينها على الإطلاق.

أعرف أن هذا العمل من هذا النوع، وهو بعنوان "الخلاف بين بابيسكوس وجيسون"، والذي من شأنه أن يثير الشفقة والكراهية بدلاً من الضحك. لكن ليس هدفي دحض التصريحات الواردة في مثل هذه الأعمال؛ لأن مغالطتها واضحة للجميع، خاصة إذا كان لدى أي شخص الصبر لقراءة الكتب نفسها. بل أريد أن أبين أن الطبيعة تعلمنا هذا، وهو أن الله لم يخلق شيئاً فانياً، بل إن أعماله، مهما كانت، خالدة، بينما الأشياء الفانية هي أعمال الآخرين، والنفس هي عمل من أعمال الله، بينما طبيعة الجسد مختلفة. وفي هذا الصدد لا يوجد فرق بين جسد الخفاش، أو الدودة، أو الضفدع، وجسد الإنسان؛ لأن المادة واحدة، وجزءهم القابل للتلف متشابه.

ليس من صنع الله شيء من هذه الأشياء: جسد الإنسان أو الثعابين التي تخرج من الجسد؛ جسد الثور، أو النحل الذي يخرج من الثور؛ جسد الحصان أو الحمار، والدبابير التي تخرج من الحصان، والخنافس التي تخرج من الحمار. هناك طبيعة مشتركة واحدة تسود جميع الأجسام المذكورة سابقاً، وهي طبيعة تذهب وتعود بنفس الشكل وسط تغيرات متكررة. لا يوجد شيء من نتاج المادة خالد. في هذه النقطة، هذه الملاحظات كافية؛ وإذا كان أي شخص قادراً على الاستماع والفحص أكثر، فسوف يعرف الحقيقة.

لم يكن هناك في السابق، ولا يوجد الآن، ولن يكون هناك مرة أخرى، شرور أكثر أو أقل في العالم مما كان عليه دائماً. لأن طبيعة كل الأشياء واحدة وذاتها، ونشأة الشرور هي نفسها دائماً. ليس من السهل، في الواقع، على من ليس فيلسوفاً أن يحدد أصل الشرور، على الرغم من أنه يكفي للجماهير أن تقول إنها لا تنبع من الله، بل تلتصق بالمادة، وتسكن بين الأشياء الفانية. إن مسار الأشياء الفانية هو نفسه من البداية إلى النهاية، ويجب أن تتكرر الأشياء نفسها دائمًا، وفقًا للدورات المحددة، في الماضي والحاضر والمستقبل. هذا يكفي لقوله للجماهير بشأن أصل الشرور.

ولم يُعطِ الله للإنسان أشياء مرئية، بل كل شيء على حدة يأتي إلى الوجود ويفنى من أجل سلامة الكل، وذلك بالتحول الذي ذكرته سابقاً، من شيء إلى آخر. كان العالم غير مخلوق وغير قابل للفساد، ولم تتعرض للفيضانات والحرائق إلا الأشياء الموجودة على الأرض، ولم تحدث كل هذه الأشياء في نفس الوقت. لن يكون هناك خير وشر أكثر أو أقل بين البشر. لا يحتاج الله إلى تعديل عمله من جديد؛ فمع أن شيئاً ما قد يبدو لك شراً، إلا أنه ليس من المؤكد أنه كذلك؛ لأنك لا تعرف ما هو مفيد لنفسك، أو لغيرك، أو للعالم أجمع.

تكرر كتاباتهم كلمات الغضب التي وجهها الله إلى الكافرين، والتهديدات الموجهة ضد الخطاة. إنهم يتحدثون بالفعل عن "غضب" الله، مع أن الله ليس خاضعاً للعاطفة. أليس من السخف أن نتصور أنه في حين أن رجلاً غضب على اليهود، فقتلهم جميعاً من الصغير إلى الكبير، وأحرق مدينتهم، كانوا عاجزين عن مقاومته إلى هذا الحد؛ – فإن الله القدير، كما يقولون، غاضباً وساخطاً، ويطلق التهديدات، بدلاً من معاقبتهم، يرسل ابنه الذي تحمل المعاناة التي تحملها هو؟ ولكن لكي لا أتحدث عن اليهود وحدهم، لأن هذا ليس هدفي، بل عن الطبيعة بأكملها، كما وعدت، سأوضح بشكل أكثر وضوحاً ما سبق ذكره.

الحيوانات تحكم

إنهم يستحقون اللوم لتأكيدهم أن الله خلق كل شيء من أجل الإنسان. إن تاريخ الحيوانات، والحكمة التي أظهرتها، يُظهر أن كل الأشياء لم تكن موجودة من أجل الإنسان بقدر ما كانت موجودة من أجل الحيوانات غير العاقلة. الرعد والبرق والأمطار ليست من أعمال الله؛ وحتى لو سلمنا بأن هذه من أعمال الله، فإنها لم تُخلق لدعمنا نحن البشر أكثر من دعمها للنباتات والأشجار والأعشاب والأشواك. على الرغم من أنك قد تقول إن هذه الأشياء، أي النباتات والأشجار والأعشاب والأشواك، تنمو لاستخدام البشر، فلماذا تصر على أنها تنمو لاستخدام البشر بدلاً من أن تنمو لاستخدام أكثر الحيوانات وحشية وغير عقلانية؟ الحيوانات غير العاقلة أكثر محبة عند الله من البشر، ولديها معرفة أنقى بالألوهية.

إننا بالفعل نكسب قوتاً ضئيلاً وشاقاً من خلال العمل والمعاناة، بينما يتم إنتاج كل شيء لهم دون أن يزرعوه أو يحرثوه. لكن إذا استشهدت بقول يوريبيدس، فإن

"الشمس والليل عبيد للبشر".

لماذا ينبغي أن يكونا كذلك بالنسبة لنا أكثر من كونهما كذلك بالنسبة للنمل والذباب؟ فقد خُلق الليل لهم لكي يستريحوا، والنهار لكي يروا ويستأنفوا عملهم.

لو أن أحدهم أطلق علينا لقب أسياد الخليقة الحيوانية لأننا نصطاد الحيوانات الأخرى ونعيش على لحومها، لقلنا: لماذا لم نخلق بالأحرى من أجلهم، بما أنهم يصطادوننا ويأكلوننا؟ بل إننا نحتاج إلى الشباك والأسلحة، ومساعدة العديد من الأشخاص، إلى جانب الكلاب، عند الانخراط في المطاردة؛ بينما يتم تزويدهم على الفور وبشكل تلقائي من قبل الطبيعة بأسلحة تجعلنا بسهولة تحت سيطرتهم. فيما يتعلق بتأكيدكم على أن الله أعطاكم القدرة على اصطياد الوحوش البرية واستخدامها بأنفسكم، نقول إنه على الأرجح، في البداية، قبل بناء المدن، واختراع الفنون، وتشكيل المجتمعات كما هي موجودة الآن، واستخدام الأسلحة والشباك، كان البشر يُصطادون ويُفترسون عمومًا من قبل الوحوش البرية، بينما نادرًا ما كان يتم اصطياد الوحوش البرية من قبل البشر. وبهذه الطريقة أخضع الله البشر للوحوش الضارية.

إذا بدا أن الرجال متفوقون على الحيوانات غير العاقلة لهذا السبب، أي أنهم بنوا المدن، ويستخدمون دستورًا سياسيًا، وأشكالًا من الحكم، وسيادات، فإن هذا لا يعني شيئًا بالنسبة للغرض، لأن النمل والنحل يفعلان الشيء نفسه. إن للنحل، في الواقع، سيداً له أتباع ومرافقون؛ وتحدث بينهم حروب وانتصارات، ومذابح للمهزومين، ومدن وضواحي، وتتابع من الأعمال، وأحكام تصدر على الكسالى والأشرار؛ لأن الذكور تُطرد وتُعاقب. تُقدّم الحروب بين النحل دروساً حول الطريقة التي ينبغي بها خوض الحروب، إذا ما دعت الحاجة إليها، بطريقة عادلة ومنظمة بين البشر.

تساعد النملات بعضها البعض في حمل أمتعتها، عندما ترى واحدة منها تكدح تحتها. لقد خصص النمل لنفسه مكاناً خاصاً لتلك الحبوب التي تنبت، حتى لا تنتفخ وتصبح براعم، بل تستمر طوال العام كغذاء له، وهذا دليل على وجود العقل بين النمل. عندما تموت النملات، تخصص النملات الناجية مكاناً خاصاً لدفنها، في مقابر أجدادها. وعندما يلتقون ببعضهم البعض يدخلون في محادثة، ولهذا السبب لا يخطئون طريقهم أبدًا؛ وبالتالي فهم يمتلكون قدرة كاملة على التفكير، وبعض الأفكار المشتركة حول مواضيع عامة معينة، وصوتًا يعبرون به عن أنفسهم فيما يتعلق بالأشياء العرضية. هيا بنا الآن، لو نظر المرء من السماء إلى الأرض، ففي أي جانب ستبدو أفعالنا مختلفة عن أفعال النمل والنحل؟

وإذا كان البشر، مع ذلك، يحملون أفكاراً سامية بسبب امتلاكهم قوة السحر، فإن الثعابين والنسور تتفوق عليهم في الحكمة حتى في هذا الصدد؛ لأنهم على دراية بالعديد من وسائل الوقاية من السموم والأمراض، وكذلك بفوائد بعض الأحجار التي تساعد في الحفاظ على صغارهم. أما إذا انساق البشر مع هذه الأفكار، فإنهم يعتقدون أنهم قد حصلوا على شيء رائع.

إذا كان الإنسان، لأنه استطاع أن يفهم فكرة الله، يعتبر متفوقاً على الحيوانات الأخرى، فليعلم أولئك الذين يحملون هذا الرأي أن هذه القدرة ستُطالب بها العديد من الحيوانات الأخرى؛ ولسبب وجيه: فماذا يمكن لأي شخص أن يدعي أنه أكثر إلهية من القدرة على معرفة الأحداث المستقبلية والتنبؤ بها؟ وبناءً على ذلك، يكتسب البشر هذا الفن من الحيوانات الأخرى، وخاصة من الطيور. أولئك الذين يستمعون إلى الإشارات التي تقدمها، يمتلكون موهبة النبوة. إذاً، إذا كانت الطيور والحيوانات النبوية الأخرى، التي مكنتها هبة الله من معرفة الأحداث مسبقاً، ترشدنا عن طريق العلامات، فإنها تبدو أقرب إلى صحبة الله، وأكثر حكمة، وأكثر محبة لديه. بل إن أكثر البشر ذكاءً يقولون إن الحيوانات تعقد اجتماعات أكثر قدسية من اجتماعاتنا، وإنها تعرف ما يقال في هذه الاجتماعات، ويثبتون بالفعل أنهم يمتلكون هذه المعرفة، عندما يكونون قد ذكروا سابقًا أن الطيور قد أعلنت عن نيتها الرحيل إلى مكان معين، والقيام بهذا الشيء أو ذاك، ثم يتم إثبات صحة مزاعمهم من خلال رحيل الطيور إلى المكان المذكور، وقيامها بالشيء المحدد الذي تم التنبؤ به. ولا يبدو أن هناك فصيلة من الحيوانات أكثر التزاماً بالأيمان من الأفيال، أو أنها تُظهر إخلاصاً أكبر للأمور الإلهية؛ وهذا، على ما أظن، فقط لأن لديهم بعض المعرفة بالله.

تتحدث طيور التكهن مع بعضها البعض؛ فهي تمتلك نفسًا إلهية، وقادرة على إدراك الآلهة. ما الذي يمكن أن يُطلق عليه اسم أكثر إلهية من القدرة على معرفة المستقبل والتنبؤ به؟ تزعم العديد من الحيوانات أن لديها أفكاراً عن الله؛ والحيوانات غير العاقلة أقرب إلى مجتمع الله من البشر. ليست الحيوانات غير العاقلة أكثر حكمة من الجنس البشري فحسب، بل إنها أكثر محبة عند الله منا! وماذا عن إخلاص الأفيال للعهود، وعن تفانيها الكبير لإلهنا، وعن المعرفة التي تمتلكها عنه؟ إن كون اللقلق أكثر تقوى من أي إنسان، يتضح من خلال تلك الروايات التي تروي عن إظهار هذا المخلوق للمودة الأبوية في جلب الطعام لوالديه لإعالتهم. طائر الفينيق العربي، بعد سنوات عديدة، يعود إلى مصر، ويحمل معه والده عندما يموت ويدفن في كرة من المر، ويضع جثته في معبد الشمس: - مثال على التقوى.

وبناءً على ذلك، لم تُخلق كل الأشياء من أجل الإنسان، تمامًا كما لم تُخلق من أجل الأسود أو النسور أو الدلافين، بل لكي يكون هذا العالم، باعتباره عمل الله، كاملاً وتامًا ومتكاملاً من جميع النواحي. ولهذا السبب تم تعديل كل شيء، ليس بالرجوع إلى بعضها البعض، ولكن فيما يتعلق بتأثيرها على الكل. والله يعتني بالكل، وعنايته لن تتخلى عنهم أبداً؛ ولن تصبح أسوأ؛ ولا يعيدها الله إليه بعد حين؛ ولا يغضب على البشر أكثر مما يغضب على القرود أو الذباب؛ ولا يهدد هذه المخلوقات، التي نال كل واحد منها نصيبه المقدر في مكانه المناسب.

ملائكة وشياطين

يا أيها اليهود والمسيحيون، لم ينزل إله ولا ابن إله إلى الأرض ولن ينزل. لكن إذا كنتم تقصدون أن ملائكة معينة فعلت ذلك، فماذا تسمونهم؟ هل هم آلهة، أم جنس آخر من الكائنات؟ لا شك أن هناك سلالة أخرى من الكائنات، وعلى الأرجح شياطين. ويزعمون أن الملائكة الذين ينزلون من السماء ليمنحوا البشر منافع هم جنس مختلف عن الآلهة؛ وعلى الأرجح سيطلق عليهم اسم الشياطين.

إن النقطة الأولى المتعلقة باليهود والتي من شأنها أن تثير العجب، هي أنهم يعبدون السماء والملائكة الذين يسكنون فيها، ومع ذلك يتجاوزون ويهملون أجزاءها الأكثر إجلالاً وقوة، كالشمس والقمر والأجرام السماوية الأخرى، سواء النجوم الثوابت أو الكواكب، كما لو كان من الممكن أن يكون "الكل" هو الله، ومع ذلك لا تكون أجزاؤه إلهية؛ أو كما لو كان من المنطقي أن يعاملوا بأكبر قدر من الاحترام أولئك الذين يُقال إنهم يظهرون للقابعين في الظلام في مكان ما، وقد أعماهم سحر ملتوٍ، أو يحلمون أحلاماً بتأثير أطياف ظليلة، في حين أن أولئك الذين يتنبأون بوضوح وبشكل لافت لجميع البشر، والذين بواسطتهم تتأتى الأمطار، والحرارة، والسحب، والرعد (الذي يقدمون له العبادة)، والبرق، والثمار، وجميع أنواع الإنتاجية،—والذين بواسطتهم يُكشف الله لهم،—وهم أبرز المبشرين من بين تلك الكائنات التي في العُلا،—أولئك الذين هم ملائكة سماويون حقاً،—يُعاملون كأنهم لا قيمة لهم!

الشمس والقمر والنجوم تنبئ بالمطر والحرارة والغيوم والرعد والبرق والفواكه وجميع أنواع الإنتاج. لكن الشمس والقمر والنجوم لا تُعتبر ذات قيمة عندهم.

من الحماقة أن يتصوروا أنه عندما يُدخل الله، كما لو كان طباخًا، النار التي ستستهلك العالم [2 بطرس 3 :10]، فإن جميع البشر الآخرين سيحترقون، بينما سيبقون هم فقط، ليس فقط الأحياء منهم، بل أيضًا أولئك الذين ماتوا منذ زمن طويل، والذين سيقومون من الأرض مكسوين بنفس الجسد الذي كانوا عليه في الحياة؛ لأن مثل هذا الأمل هو مجرد أمل يمكن أن تتمسك به الديدان. فأي نوع من النفوس البشرية تلك التي لا تزال تتوق إلى جسد تعرض للفساد؟ ومن هنا أيضاً، لا يشارك بعض المسيحيين هذا الرأي، بل يعتبرونه وضيعاً للغاية، ومقيتاً، ومستحيلاً؛ فما نوع الجسد الذي، بعد أن يفسد تماماً، يمكنه أن يعود إلى طبيعته الأصلية، وإلى تلك الحالة الأولى نفسها التي سقط منها في الانحلال؟ ولأنهم لم يتمكنوا من تقديم أي إجابة، فقد لجأوا إلى ملجأ سخيف للغاية، ألا وهو أن كل شيء ممكن عند الله. ومع ذلك، لا يستطيع الله أن يفعل أشياءً مخزية، ولا يرغب في فعل أشياء تخالف طبيعته؛ وإذا رغبتَ، وفقًا لشر قلبك، في شيء شرير، فلن يفعله الله؛ ولا يجب عليك أن تؤمن فورًا بأنه سيحدث. لأن الله لا يحكم العالم لإشباع رغبات مفرطة، أو للسماح بالخطأ والفوضى والاضطراب، بل ليحكم طبيعة مستقيمة وعادلة.

ويقولون إنه في وقت الزيارة التي ستأتي على العالم بنار التطهير، لن يبقى فقط أولئك الذين هم على قيد الحياة آنذاك، بل سيبقى أيضاً أولئك الذين ماتوا منذ زمن بعيد. بنفس الأجساد، ودون تغيير إلى حالة أعلى، سيقوم أولئك الذين ماتوا منذ زمن طويل من الأرض ويعيشون مرة أخرى. أما بالنسبة للنفس، فقد يكون الله قادراً على توفير حياة أبدية؛ بينما على العكس من ذلك، يلاحظ هيراقليطس أن الجثث يجب التخلص منها باعتبارها أكثر دناءة من الروث. لكن الله لا يستطيع ولا يريد أن يعلن، خلافاً لكل منطق، أن الجسد، المليء بتلك الأشياء التي لا يشرف حتى ذكرها، سيبقى موجوداً إلى الأبد. لأن الله نفسه هو سبب كل الأشياء الموجودة، وبالتالي لا يمكنه أن يفعل شيئاً مخالفاً للعقل أو مخالفاً لذاته.

قوانين اليهود

وبما أن اليهود أصبحوا شعباً مميزاً، وسنوا قوانين تتماشى مع عادات بلادهم، وحافظوا عليها حتى الوقت الحاضر، ويمارسون طريقة عبادة، مهما كانت طبيعتها، إلا أنها مستمدة من آبائهم، فإنهم يتصرفون في هذه الجوانب مثل غيرهم من الناس، لأن كل أمة تحتفظ بعاداتها الموروثة، مهما كانت، إذا ما استقرت بينهم. ويبدو أن هذا الترتيب مفيد، ليس فقط لأنه قد خطر ببال الأمم الأخرى أن تقرر بعض الأمور بشكل مختلف، ولكن أيضاً لأنه من واجب حماية ما تم تأسيسه للمصلحة العامة؛ وأيضاً لأنه، على الأرجح، تم تخصيص أرباع الأرض المختلفة منذ البداية لأرواح مشرفة مختلفة، وتم توزيعها بالتالي بين قوى حاكمة معينة، وبهذه الطريقة تتم إدارة العالم. وكل ما يتم فعله بين كل أمة بهذه الطريقة سيكون صحيحاً، أينما كان ذلك متوافقاً مع رغبات السلطات المشرفة، في حين أن التخلص من المؤسسات التي تم تأسيسها منذ البداية في مختلف الأماكن سيكون عملاً من أعمال الكفر. يجب علينا الالتزام بالقوانين لأنه من واجبنا حماية ما تم سنه؛ وبسبب وجود المشرفين المنتشرين في مختلف أنحاء الأرض، فإن ما يتم فعله بين كل أمة يتم بشكل صحيح.

دع الطرف الثاني يتقدم؛ وسأسألهم من أين أتوا، ومن يعتبرونه منشأ عاداتهم المتوارثة. سيجيبون: لا أحد، لأنهم ينبعون من نفس المصدر الذي ينبع منه اليهود أنفسهم، ولا يستمدون تعليمهم وإشرافهم من أي جهة أخرى، وعلى الرغم من أنهم تمردوا على اليهود.

يمكننا الاستشهاد بهيرودوت كشاهد على هذه النقطة، لأنه يعبر عن نفسه على النحو التالي: "لأن أهل مدينتي ماريس وأبيس، الذين يسكنون تلك الأجزاء من مصر المتاخمة لليبيا، والذين يعتبرون أنفسهم ليبيين وليس مصريين، يجدون عبادتهم القرابينية قمعية، ولا يرغبون في أن يُحرموا من استخدام لحم الأبقار، فأرسلوا إلى معبد جوبيتر آمون، قائلين إنه لا توجد علاقة بينهم وبين المصريين، وأنهم يسكنون خارج الدلتا، وأنه لا توجد رابطة عاطفية بينهم وبين المصريين، وأنهم يرغبون في أن يُسمح لهم

بتناول جميع أنواع الطعام. لكن الإله لم يسمح لهم بفعل ما أرادوا، قائلاً إن تلك البلاد جزء من مصر، التي ترويها مياه النيل، وأن هؤلاء هم المصريون الذين يسكنون جنوب مدينة الفنتين، ويشربون من نهر النيل. هكذا يروي هيرودوت القصة. لم يكن آمون سفيراً أسوأ للأمور الإلهية من ملائكة اليهود!

لأنه إذا قام أي شخص بتقديم هذا الاقتراح إلى جميع البشر، أي أن يطلب منه اختيار أفضل القوانين من بين جميع القوانين الموجودة، فإن كل واحد سيختار، بعد الفحص، قوانين بلده. يعتبر كل إناس قوانينه الخاصة هي الأفضل، ولذلك فمن غير المرجح أن يجعل أي شخص آخر غير مجنون هذه الأشياء موضع سخرية. لكن يمكن تحديد أن هذه هي استنتاجات جميع البشر فيما يتعلق بالقوانين من خلال العديد من الأدلة الأخرى، وخاصة من خلال المثال التالي. داريوس، خلال فترة حكمه، استدعى أمامه اليونانيين الذين تصادف وجودهم في ذلك الوقت، وسألهم عن المبلغ الذي يرغبون في دفعه مقابل أكل جثث آبائهم المتوفين؟ وكان جوابهم أنهم لن يفعلوا ذلك في مقابل أي تعويض. بعد ذلك، استدعى داريوس أولئك الهنود الذين يُطلق عليهم اسم الكالاتيين، والذين اعتادوا أكل آبائهم، وسألهم بحضور هؤلاء اليونانيين، الذين علموا ما تم نقله عن طريق مترجم، عن المبلغ الذي سيقبلونه لحرق آبائهم المتوفين بالنار؟ فرفعوا صيحة مدوية، وأمروا الملك ألا يقول المزيد. هكذا إذن يتم النظر إلى هذه الأمور. ويبدو لي أن بندار محق في قوله إن "القانون" هو ملك كل شيء. من واجب جميع البشر أن يعيشوا وفقًا لعادات بلادهم، وفي هذه الحالة سيفلتون من اللوم؛ أما المسيحيون، الذين تخلوا عن عاداتهم الأصلية، والذين ليسوا أمة واحدة مثل اليهود، فيُلامون على تمسكهم بتعاليم يسوع.

إذا كان اليهود، إذن، حريصين في هذه الجوانب على الحفاظ على شريعتهم الخاصة، فلا ينبغي لومهم على ذلك، بل يُلام أولئك الذين تخلوا عن عاداتهم الخاصة، واعتمدوا عادات اليهود. وإذا كانوا يتباهون بذلك، باعتبارهم يمتلكون حكمة فائقة، ويتجنبون الاختلاط بالآخرين، باعتبارهم ليسوا على نفس القدر من النقاء معهم، فقد سمعوا بالفعل أن مذهبهم المتعلق بالسماء ليس خاصًا بهم، ولكنه، على عكس جميع المذاهب الأخرى، هو مذهب تبناه الفرس منذ زمن بعيد، كما ذكر هيرودوت في مكان ما. ويقول: "لأن لديهم عادة الصعود إلى قمم الجبال، وتقديم القرابين إلى جوبيتر، وإطلاق اسم جوبيتر على دائرة السماء بأكملها". لا يعرف الإثيوبيون الذين يسكنون مروي إلا إلهين، جوبيتر وباكوس، ويعبدونهما فقط؛ ولا يعرف العرب إلا إلهين، وهما باكوس، وهو أيضاً إله إثيوبي، وأورانيا، التي تقتصر عبادتهم عليهما. وأعتقد أنه لا فرق سواء سميت الكائن الأعلى زيوس، أو زين، أو أدوناي، أو ساباوث، أو آمون مثل المصريين، أو بابايوس مثل السكيثيين. بالنسبة للحكيم، لا فرق سواء كان الإله الذي فوق كل شيء يُدعى باسم زيوس، وهو الاسم الشائع بين اليونانيين، أو باسم آخر، على سبيل المثال، وهو الاسم المستخدم بين الهنود أو المصريين.

ولا يُعتبرون على الإطلاق أكثر قداسة من غيرهم في هذا الصدد، لأنهم يمارسون طقوس الختان، لأن المصريين والكولخيين كانوا يفعلون ذلك من قبلهم؛ ولا لأنهم يمتنعون عن لحم الخنزير، لأن المصريين كانوا يمارسون الامتناع ليس فقط عنه، ولكن عن لحم الماعز والأغنام والثيران والأسماك أيضًا؛ بينما لا يأكل فيثاغورس وتلاميذه الفول، ولا أي شيء يحتوي على حياة. لكن ليس من المحتمل أن يتمتعوا برضى الله، أو أن يحبهم بشكل مختلف عن الآخرين، أو أن الملائكة أُرسلت من السماء إليهم وحدهم، كما لو أنهم خصصوا لهم "منطقة للمباركين"، لأننا نراهم أنفسهم والبلد الذي اعتبروا جديرين به. فلنرحل إذن هذه الجماعة، بعد أن دفعت ثمن تبجحها، لعدم معرفتها بالله العظيم، بل انقادت وخدعت بمكائد موسى، وأصبحت تلميذه دون جدوى.

ليس من المحتمل أن يكون اليهود في حظوة كبيرة عند الله، أو أنهم يحظون بمودة أكبر من غيرهم؛ لأنه يمكننا أن نرى كلاً من الشعب نفسه، والبلد الذي اعتبروا جديرين به. ومع ذلك، يؤكد المسيحيون أن من حسن حظ شعب اليهود أن يتمتعوا برضى الله وأن يحبهم بطريقة مختلفة عن الآخرين. فمن أين أتوا ومن هو قائدهم، وما هو القانون الذي صدر عنه؟

فلنتجاوز إذن الردود التي يمكن تقديمها ضد مزاعم معلمهم، ولنعتبره ملاكاً حقاً. لكن هل هو الأول والوحيد الذي جاء إلى البشر، أم كان هناك آخرون قبله؟ وإذا قالوا إنه الوحيد، فسيدانون بالكذب على أنفسهم. لأنهم يؤكدون أنه في مناسبات عديدة جاء

آخرون، ونزل منهم ستون أو سبعون معًا، وأن هؤلاء أصبحوا أشرارًا، وأُلقوا تحت الأرض وعوقبوا بالسلاسل، وأن من هذا المصدر تنشأ الينابيع الدافئة، التي هي دموع الملائكة؛ وعلاوة على ذلك، فقد جاء ملاك إلى قبر هذا الكائن المذكور - وفقًا للبعض، واحد بالفعل، ولكن وفقًا للآخرين، اثنان - أجاب النساء بأنه قد قام. لأن ابن الله لم يستطع بنفسه، كما يبدو، أن يفتح القبر، بل احتاج إلى مساعدة آخر لتدحرج الحجر! ومرة أخرى، بسبب حمل مريم، جاء ملاك إلى النجار [متى 1 :20]، ومرة أخرى ملاك آخر، حتى يأخذوا الطفل المولود حديثًا، الذي كانت حياته في خطر، ويهربوا إلى مصر. [متى 2 :13.] لكن ما الحاجة إلى تفصيل كل شيء، أو إلى حصر عدد الملائكة الذين قيل إنهم أُرسلوا إلى موسى، وغيرهم بينهم أيضاً؟ إذاً، إذا كان قد تم إرسال آخرين، فمن الواضح أنه جاء أيضاً من نفس الإله. لكن قد يُفترض أنه يُظهر وكأنه يعلن شيئًا ذا أهمية أكبر من أولئك الذين سبقوه، كما لو أن اليهود كانوا يرتكبون الخطيئة، أو يفسدون دينهم، أو يرتكبون أعمال الكفر؛ لأن هذه الأشياء تم التلميح إليها بشكل غامض.

فليظهر وكأنه ملاك حقاً؛ هل هو الأول والوحيد الذي جاء، أم أن آخرين قد أتوا في مناسبات سابقة؟ وهكذا فهو ليس الوحيد الذي سُجِّل أنه زار الجنس البشري، فحتى أولئك الذين ارتدوا عن الخالق باعتباره كائناً أدنى، تحت ذريعة التعليم باسم يسوع، وانضموا إلى إله أعلى وأب لمن زار العالم، يؤكدون أن كائنات معينة جاءت من الخالق لزيارة الجنس البشري قبله. وبناءً على ذلك، فإن اليهود، وهؤلاء المسيحيين، يعبدون نفس الإله. من المؤكد بالفعل أن أعضاء الكنيسة العظيمة يعترفون بذلك، ويتبنون الروايات المتعلقة بخلق العالم المتداولة بين اليهود، وهي الروايات المتعلقة بالأيام الستة واليوم السابع الذي استراح فيه الله، على أنها صحيحة. وفيما يتعلق بالرجل الأول، فإنهم يقدمون نفس الرواية التي يقدمها اليهود، ويستنتجون منه نفس النسب الذي يستنتجونه.

تعدد الطوائف

لا يظن أحد أنني جاهل بأن بعضهم سيقر بأن إلههم هو نفسه إله اليهود، بينما سيؤكد آخرون أنه إله مختلف، وأن الأخير يعارضه، وأن الابن جاء من الأول. ينتمي إلى الكنيسة أولئك الذين هم من العامة؛ وهناك، علاوة على ذلك، بعض المسيحيين الذين يطلق عليهم اسم السيبيليين، أي المؤمنين بالسيبيلية. يعبد بعض السيمونيين هيلين، أو هيلينوس، كمعلم لهم، ويطلق عليهم اسم الهيلينيين؛ وهناك أيضًا بعض المارسيليين، الذين يطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى مارسيلينا، والهاربوقراطيين نسبة إلى سالومي، وآخرون يستمدون اسمهم من مريم، وآخرون من مارثا. وهناك آخرون اخترعوا بشكل خبيث كائناً ما ليكون معلمهم وشيطانهم، ويتخبطون في ظلام عظيم، أكثر نجاسةً ولعنةً من ظلام رفاق أنطينوس المصري.

علاوة على ذلك، فإن هؤلاء الأشخاص يتلفظون ضد بعضهم البعض بتجديفات مروعة، ويقولون كل أنواع الأشياء المخزية التي يجب قولها؛ ولن يتنازلوا في أدنى نقطة من أجل الوئام، بل يكرهون بعضهم البعض كراهية تامة. يُطلق على بعض المسيحيين اسم "المكويين في آذانهم"؛ ويُطلق على البعض الآخر اسم "الألغاز". قد تسمع كل أولئك الذين يختلفون اختلافاً كبيراً، والذين يهاجمون بعضهم بعضاً في مناقشاتهم بأكثر الألفاظ وقاحةً، وهم ينطقون بالكلمات: "الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ".

على الرغم من عدم وجود أساس لهذه العقيدة، فلنفحص النظام نفسه؛ ولنذكر أولاً وقبل كل شيء التحريفات التي أحدثوها بسبب الجهل وسوء الفهم، عندما يعبرون عن آرائهم بأكثر الطرق سخافة في مناقشة المبادئ الأولية حول أشياء لا يفهمونها، مثل ما يلي.

وقد وردت هذه الأمور بشكل أفضل بكثير بين اليونانيين مقارنة بالكتب المقدسة، وبطريقة خالية من كل المبالغات والوعود من جانب الله أو ابن الله. على سبيل المثال، يقول أفلاطون، ابن أريستون، في إحدى رسائله، متحدثًا عن "الخير الأسمى": "لا يمكن بأي حال من الأحوال وصف الخير الأسمى بالكلمات، ولكنه ينتج عن عادة طويلة، وينفجر فجأة كنور في الروح، كما لو كان من نار قد اندفعت". تحتوي إحدى رسائل أفلاطون على بيان آخر بالمعنى التالي: "إذا بدا لي أن هذه الأمور يمكن شرحها بشكل

كافٍ للجماهير كتابةً وشفهياً، فأي مسعى أنبل في الحياة كان بإمكاني اتباعه، من تدوين ما يثبت أنه ذو فائدة كبيرة للبشر، وقيادة طبيعة جميع البشر نحو النور؟"

سيوضح اقتباس آخر من أفلاطون كيف أن استخدام أسلوب السؤال والجواب يلقي الضوء على أفكار أولئك الذين يتفلسفون. كما يوضح أفلاطون، فإن "الخير" لا يمكن أن يعرفه إلا القليل، لأن الجموع، المتغطرسة بازدراء الآخرين، وهو أمر بعيد كل البعد عن الصواب، والمملوءة بآمال باطلة وعليا، تؤكد أنه لمجرد معرفتها ببعض المذاهب الجليلة، فإن بعض الأشياء صحيحة. ومع ذلك، فرغم أن أفلاطون تنبأ بهذه الأمور، إلا أنه لا يتحدث عن العجائب، ولا يسكت أولئك الذين يرغبون في سؤاله عن معلومات حول موضوع وعوده؛ ولا يأمرهم بالحضور على الفور والإيمان بوجود إله من نوع معين، وأن لديه ابناً ذا طبيعة خاصة، نزل إلى الأرض وتحدث معه شخصياً.

ومن أقوال أفلاطون الأخرى ما يلي: "لقد خطر لي أن أتحدث مرة أخرى عن هذه المواضيع بمزيد من التفصيل، حيث ربما أستطيع أن أعبر عن نفسي بشأنها بشكل أوضح مما فعلت بالفعل، لأن هناك سببًا "حقيقيًا" معينًا، يثبت أنه عائق في طريق من تجرأ، ولو قليلاً، على الكتابة في مثل هذه المواضيع؛ ولأنني ذكرت هذا الأمر مرارًا وتكرارًا في مناسبات سابقة، يبدو لي أنه ينبغي ذكره الآن. في كل شيء من الأشياء الموجودة، والتي يتم استخدامها بالضرورة في اكتساب المعرفة، هناك ثلاثة عناصر؛ والمعرفة نفسها هي العنصر الرابع؛ وهذا ما يجب اعتباره العنصر الخامس الذي يمكن معرفته وهو صحيح. من بين هذه، واحد هو "الاسم"؛ والثاني هو "الكلمة"؛ والثالث هو "الصورة"؛ والرابع هو "المعرفة".

الآن، وفقًا لهذا التقسيم، يتم تقديم يوحنا قبل يسوع كصوت شخص يصرخ في البرية، وذلك ليتوافق مع "اسم" أفلاطون؛ والثاني بعد يوحنا، الذي يشير إليه، هو يسوع، الذي يتفق معه القول، "الكلمة صار جسدًا [يوحنا 1 :14]" وهذا يتوافق مع "كلمة" أفلاطون. يُطلق أفلاطون على العنصر الثالث اسم "الصورة". ترى كيف أن أفلاطون، على الرغم من تأكيده على أن الخير الأسمى لا يمكن وصفه بالكلمات، إلا أنه لتجنب الظهور بمظهر التراجع إلى موقف لا جدال فيه، يرفق سبباً لتفسير هذه الصعوبة، حيث أنه حتى "العدم" قد يكون من الممكن تفسيره بالكلمات. لا يُعتبر أفلاطون مذنباً بالتباهي والكذب، أو الادعاء بأنه قد توصل إلى اكتشاف جديد، أو أنه نزل من السماء ليعلن ذلك، ولكنه يعترف بمصدر هذه التصريحات.

ويقولون لكل واحد من سامعيهم: آمنوا أولاً وقبل كل شيء أن الذي أقدمه لكم هو ابن الله، على الرغم من أنه رُبط بشكل مخزٍ، وعوقب بشكل مهين، وعومل مؤخراً بشكل مهين للغاية أمام أعين جميع الناس. صدق أكثر من ذلك، في هذا الخصوص. إذا أدى ذلك إلى ظهور هذا الشخص، وآخرين، مرة أخرى، شخص مختلف، بينما يكون النداء المشترك والجاهز لجميع الأطراف هو: "آمن، إن أردت الخلاص، وإلا فاذهب"، فماذا يفعل أولئك الذين يسعون بجدية إلى خلاصهم؟ هل سيرمون النرد، لكي يتنبأوا إلى أين سيذهبون، ومن سينضمون إليه؟

إنهم يعلنون أن الحكمة التي بين الناس هي حماقة عند الله. [كورنثوس الأولى 3: 19.] وقد ذُكر سبب ذلك منذ زمن بعيد: رغبتهم في كسب أكثر الناس جهلاً أو خضوعاً أو قلة تعليماً عن طريق هذا القول. يهرب هؤلاء السحرة بسرعة فائقة من الطبقة الأكثر تهذيباً من الناس، لأنهم ليسوا أشخاص مناسبين لفرضياتهم، بينما يسعون إلى استدراج أولئك الأكثر بساطة.

لكن حتى هذا القول تم اقتباسه من حكماء اليونان، الذين أعلنوا أن الحكمة البشرية من نوع، والحكمة الإلهية من نوع آخر. يقول هيراقليطس في أحد المقاطع: "إن طريقة عمل الإنسان لا تخضع لمبادئ ثابتة، بل إن طريقة عمل الله تخضع لها"؛ وفي مقطع آخر: "إن الرجل الأحمق يستمع إلى الشيطان كما يستمع الصبي إلى الرجل". ما يلي مقتبس من دفاع سقراط، الذي كان أفلاطون مؤلفه: "لأني يا رجال أثينا، لم أحصل على هذا الاسم بأي وسيلة أخرى سوى حكمتي. وما نوع هذه الحكمة؟ ربما يكون هذا هو حال الإنسان؛ ففي هذا الصدد، أجرؤ على الاعتقاد بأنني حكيم في الواقع."

إن ذلك التواضع الذي يمارس بينهم مستوحى من بعض كلمات أفلاطون التي لم تُفهم بشكل كامل، حيث يعبر عن نفسه في القوانين على النحو التالي: "إن الله، وفقًا للرواية القديمة، الذي يمتلك في ذاته بداية ونهاية ووسط كل الأشياء الموجودة، يسير وفقًا للطبيعة، ويمضي قدمًا بشكل مستقيم. يتبعه العدل باستمرار، وهو المنتقم لكل انتهاكات القانون الإلهي: من هو على وشك أن يصبح سعيداً يتبعه عن كثب بتواضع، ومتزيناً بشكل لائق."

إن تصريح يسوع ضد الأغنياء، عندما قال: "إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!" [متى 19 :24]، هو قول ينبع بوضوح من أفلاطون. لقد حرّف يسوع كلمات الفيلسوف، والتي كانت تقول: "من المستحيل أن يتميز المرء بالخير، وفي الوقت نفسه بالغنى".

يقول أفلاطون في إعلانه: "كل الأشياء تدور حول ملك الكل، وكل الأشياء موجودة من أجله، وهو سبب كل الأشياء الجيدة. أما في الأمور من الدرجة الثانية فهو الثاني، وفي الأمور من الدرجة الثالثة فهو الثالث. وبناءً على ذلك، فإن النفس البشرية تتوق إلى معرفة ماهية هذه الأشياء، وتتطلع إلى الأشياء المشابهة لها، والتي لا يوجد منها شيء كامل. أما فيما يتعلق بالملك والأمور التي ذكرتها، فلا يوجد شيء يشبهها."

الغنوصيون والمسيحيون

بعض المسيحيين، بعد أن أساءوا فهم كلمات أفلاطون، يتباهون بصوت عالٍ بإله "فوق سماوي" يصعد بذلك إلى ما وراء سماء اليهود. وقد تم التلميح إلى هذه الأمور بشكل غامض في روايات الفرس، وخاصة في أسرار ميثراس، التي يتم الاحتفال بها بينهم. ففي الأخير يوجد تمثيل للدورتين السماويتين، أي حركة النجوم الثابتة، وما يحدث بين الكواكب، ومرور النفس من خلالها. التمثيل من النوع التالي: يوجد سلم ذو بوابات عالية، وعلى قمته بوابة ثامنة. تتكون البوابة الأولى من الرصاص، والثانية من القصدير، والثالثة من النحاس، والرابعة من الحديد، والخامسة من خليط من المعادن، والسادسة من الفضة، والسابعة من الذهب. البوابة الأولى ينسبونها إلى زحل، مشيرين من خلال "الرصاص" إلى بطء هذا النجم؛ والثانية إلى الزهرة، مقارنين إياها ببريق ونعومة القصدير؛ والثالثة إلى المشتري، لكونه ثابتًا وصلبًا؛ والرابعة إلى عطارد، لأن كلاً من عطارد والحديد مناسبان لتحمل كل شيء، وهما يجلبان المال ويتطلبان العمل الشاق؛ والخامسة إلى المريخ، لأنه يتكون من خليط من المعادن، فهو متنوع وغير متساوٍ؛ والسادسة، من الفضة، إلى القمر؛ والسابعة، من الذهب، إلى الشمس، - وبالتالي محاكاة الألوان المختلفة للنجمين الأخيرين.

علاوة على ذلك، يستشهد اللاهوت الفارسي بأسباب موسيقية؛ ويضاف إلى هذه الأسباب تفسير ثانٍ، مرتبط أيضًا بالاعتبارات الموسيقية، للسماوات السبع. إن من يسعى إلى دراسة الأسرار المسيحية، إلى جانب الأسرار الفارسية المذكورة آنفاً، سيرى، عند مقارنة الاثنين معاً، وعند كشف طقوس المسيحيين، الفرق بينهما بهذه الطريقة. لقد رأيت مخططًا معينًا، تم فيه وصف عشر دوائر، متميزة عن بعضها البعض، ولكنها متحدة بدائرة واحدة، قيل إنها روح كل الأشياء، وأطلق عليها اسم "ليفياثان": الروح التي سافرت عبر كل الأشياء! لاحظتُ أيضاً في الرسم التخطيطي الكائن المسمى "بهيموث"، الموضوع كما لو كان تحت الدائرة السفلية. قام مخترع هذا الرسم التخطيطي بنقش هذا الليفياثان على محيطه ومركزه، وبالتالي وضع اسمه في مكانين منفصلين. علاوة على ذلك، تم تقسيم الرسم التخطيطي بخط أسود سميك، وكان هذا الخط يسمى جهينا، وهو تارتاروس.

من يطبع الختم يُدعى أباً، ومن يُختم يُدعى شاباً وابناً، وهو الذي يجيب قائلاً: "لقد مُسحت بمرهم أبيض من شجرة الحياة". أولئك الذين يسلمون الختم يذكرون عدد سبعة ملائكة، يرتبطون بجانبي روح الجسد المحتضر؛ يُطلق على أحد الجانبين اسم ملائكة النور، والآخرين اسم "الأركونيين". يُطلق على حاكم أولئك الذين يُطلق عليهم اسم "الأركونيين" اسم الإله "الملعون". من ذا الذي يجرؤ على استخدام مثل هذه اللغة - كما لو كان هناك إله "ملعون"! ومع ذلك، يُطلق على إله الكون في إنجيل موسى اسم

الإله الملعون، لأن هذه هي طبيعته، ويستحق اللعن في رأي أولئك الذين يعتبرونه كذلك، لأنه لعن الحية التي أدخلت أول البشر إلى معرفة الخير والشر.

ما الذي يمكن أن يكون أكثر حماقة أو جنوناً من هذه الحكمة عديمة المعنى؟ ما الخطأ الذي ارتكبه المشرّع اليهودي؟ ولماذا تقبل، كما تقول، بطريقة تفسيرية رمزية ومجازية معينة، نظرية نشأة الكون التي يقدمها، وشريعة اليهود، بينما أنت، يا أيها الرجل الفاسق، تثني على خالق العالم على مضض، الذي وعدهم أن يهبهم كل شيء؛ والذي وعد أن يكثر نسلهم إلى أقاصي الأرض، وأن يقيمهم من الموت بدم ولحم من نفس النوع، والذي أوحى إلى أنبيائهم؛ ثم، مرة أخرى، تشتمه! عندما تشعر بقوة هذه الاعتبارات، فإنك في الواقع تقر بأنك تعبد نفس الإله؛ ولكن عندما يقدم معلمك يسوع وموسى اليهودي قرارات متناقضة، فإنك تبحث عن إله آخر، بدلاً منه ومن الآب!

الأركونات

وبالعودة إلى الشياطين السبعة الحاكمة، فإن ترتيبهم موضح في الرسم التخطيطي. كان شكل الماعز يشبه شكل الأسد. ومرة أخرى، الثاني بالترتيب هو ثور، والثالث حيوان برمائي، وكان يزمجر بشكل مخيف؛ علاوة على ذلك، كان الرابع على شكل نسر؛ ومرة أخرى، كان الخامس على شكل دب. واستكمالاً للرواية، وُصف السادس بأنه ذو وجه كلب؛ أما السابع فكان له وجه حمار. علاوة على ذلك، إذا رغب أي شخص في التعرف على حيل هؤلاء السحرة، الذين يسعون من خلالها إلى تضليل الناس بتعليمهم كما لو كانوا يمتلكون معرفة ببعض الطقوس السرية، لكنهم لا ينجحون في ذلك على الإطلاق، فليستمع إلى التعليم الذي يتلقونه بعد المرور بما يسمى "سياج الشر"، وهي بوابات تخضع لعالم الأرواح الحاكمة. إذن، هذه هي الطريقة التي يتابعون بها: "أحيي الملك ذو الشكل الواحد، رباط العمى، النسيان التام، القوة الأولى، المحفوظة بروح العناية والحكمة، الذي أُرسلت منه طاهرًا، كوني بالفعل جزءًا من نور الابن والأب: لتكن النعمة معي؛ نعم، يا أبي، لتكن معي". ويقولون أيضاً إن بدايات الأجدود مستمدة من هذا. وفي المكان التالي، يتم تعليمهم أن يقولوا على النحو التالي، أثناء مرورهم بما يسمونه إلداباوث: "أنت يا الأول والسابع، المولود للقيادة بثقة، أنت يا إلداباوث، الحاكم العقلاني ذو العقل النقي، والعمل الكامل للابن والأب، حامل رمز الحياة في شخصية نموذجية، ومفتوح للعالم البوابة التي أغلقتها على مملكتك، أعبر مرة أخرى بحرية عبر مملكتك. لتكن النعمة معي؛ نعم يا أبي، لتكن معي." ويقولون كذلك إن نجم فينون متعاطف مع الحاكم الشبيه بالأسد. ثم يتخيلون أن من مر عبر إلداباوث ووصل إلى ياو ينبغي أن يقول هكذا: "أنت يا ياو الثاني، الذي يضيء في الليل، يا حاكم الأسرار السرية للابن والأب، يا أمير الموت الأول، وجزء من الأبرياء، حاملاً الآن لحيتي كرمز، أنا مستعد للمرور عبر مملكتك، بعد أن قويت ممن ولد منك بالكلمة الحية". لتكن النعمة معي يا أبي، لتكن معي." ثم يأتون إلى ساباوث، الذي يعتقدون أنه ينبغي توجيه ما يلي إليه: "يا حاكم العالم الخامس، ساباوث القوي، مدافع قانون مخلوقاتك، الذين تحرروا بفضلك من خلال مساعدة خماسي أقوى، اسمح لي بالدخول، وأنا أرى الرمز الخالي من العيوب لفنهم، المحفوظ بختم صورة، جسد حرره خماسي. يا أبي، لتكن النعمة معي، لتكن النعمة معي." وبعد ساباوث يأتون إلى أستافيوس، الذي يعتقدون أنه يجب تقديم الصلاة التالية إليه: "يا أستافيوس، حاكم البوابة الثالثة، المشرف على المبدأ الأول للماء، انظر إلي كواحد من المختارين لديك، واقبلني أنا الذي تطهرت بروح عذراء، أنت الذي ترى جوهر العالم. يا أبي، لتكن النعمة معي، لتكن النعمة معي." وبعده يأتي ألوايوس، الذي يجب مخاطبته على النحو التالي: "يا ألوايوس، حاكم البوابة الثانية، دعني أمر، بما أنني أحمل إليك رمز والدتك، وهي نعمة مخفية بواسطة قوى العوالم. يا أبي، لتكن النعمة معي، لتكن معي." وأخيراً يذكرون اسم هورايوس، ويعتقدون أنه ينبغي تقديم الصلاة التالية إليه: "يا من قفزت بشجاعة فوق سور النار، يا هورايوس، يا من حصلت على حكم البوابة الأولى، دعني أمر، إذ ترى رمز قوتك، المنحوت على شكل شجرة الحياة، والمصنوع على غرار هذه الصورة، على صورة البراءة. يا أبي، لتكن النعمة معي، لتكن النعمة معي."

يعود بعض الأشخاص إلى أشكال الأركونية، لذلك يُطلق على بعضهم اسم الأسود، وعلى آخرين اسم الثيران، وعلى آخرين اسم التنانين، أو النسور، أو الدببة، أو الكلاب. يرسمون مخططًا يسمى "النمط المربع"، يصور أبواب الجنة. يُصوَّر السيف المشتعل على أنه قطر دائرة ملتهبة، وكأنه حارس يقف فوق شجرة المعرفة والحياة.

ويستمرون في تكديس شيء تلو الآخر، - خطب الأنبياء، ودوائر فوق دوائر، ومخلفات من كنيسة أرضية، ومن الختان؛ وقوة تتدفق من برونيكوس واحد، عذراء ونفس حية؛ وسماء قُتلت من أجل الحياة، وأرض ذُبحت بالسيف، وكثيرون قُتلوا لكي يعيشوا، وموت يتوقف في العالم، عندما تموت خطيئة العالم؛ ومرة أخرى، طريق ضيق، وأبواب تُفتح من تلقاء نفسها. وفي جميع كتاباتهم ورد ذكر شجرة الحياة، وقيامة الجسد بواسطة "الشجرة"، لأنني أتخيل أن معلمهم قد سُمِّر على الصليب؛ لذلك لو أنه قد أُلقي من جرف، أو دُفع إلى حفرة، أو اختنق شنقاً، لكان قد تم اختراع جرف للحياة أبعد من السماوات، أو حفرة للقيامة، أو حبل الخلود. أو إذا كانت "شجرة الحياة" اختراعًا لأنه -يسوع- ورد أنه كان نجارًا، فمن المنطقي أنه لو كان قاطعًا للجلود، لكان قد قيل شيء عن جلد مقدس؛ أو لو كان قاطعًا للحجارة، لكان قد قيل شيء عن حجر مبارك؛ أو لو كان عاملًا في الحديد، لكان قد قيل شيء عن حديد الحب! أي عجوز لا تخجل من التلفظ بمثل هذه الأشياء همساً، حتى عند سرد القصص لتهدئة طفل رضيع لينام؟

وهذا ليس أقل عجائبهم، إذ توجد بين الدوائر العليا - تلك التي فوق السماوات - نقوش معينة يقدمون تفسيرها، ومن بينها كلمتان على وجه الخصوص، "أكبر وأصغر"، والتي يشيرون بها إلى الأب والابن. يوجد في الرسم التخطيطي الدائرة الكبرى والدائرة الصغرى، وعلى قطر إحداهما نُقش "الأب والابن"؛ وبين الدائرة الكبرى، التي كانت الدائرة الصغرى موجودة فيها، ودائرة أخرى مكونة من دائرتين، الخارجية منها صفراء والداخلية زرقاء، يوجد حاجز منقوش على شكل فأس. وفوقها دائرة صغيرة، قريبة من الأكبر من الاثنتين السابقتين، تحمل نقش "الحب"؛ وفي الأسفل، دائرة أخرى تلامس نفس الدائرة، تحمل كلمة "الحياة". وفي الدائرة الثانية، التي كانت متشابكة مع دائرتين أخريين وتضمنتهما، شكل آخر، مثل المعين، بعنوان "بصيرة الحكمة". وكان من بين نقاط التقاءهما "طبيعة الحكمة". وفوق نقطة تقاطعهما كانت هناك دائرة، كُتب عليها "المعرفة"؛ وفي الأسفل دائرة أخرى، كُتب عليها "الفهم". أولئك الذين يستخدمون فنون السحر والشعوذة، والذين يستحضرون أسماء الشياطين البربرية، يتصرفون مثل أولئك الذين، في إشارة إلى نفس الأشياء، يقومون بأعمال عجيبة أمام أولئك الذين يجهلون أن أسماء الشياطين عند الإغريق تختلف عما هي عليه عند السكيثيين. يذكر هيرودوت أن "أبولو يُدعى غونغوسيروس من قبل السكيثيين؛ وبوسيدون، ثاغيماسادا؛ وأفروديت، أرغيمباسان؛ وهيستيا، تابيتي". ما الحاجة إلى حصر جميع أولئك الذين قاموا بتدريس طرق التطهير، أو الترانيم التكفيرية، أو التعاويذ لدرء الشر، أو صنع الصور، أو تشبيهات الشياطين، أو الأنواع المختلفة من الترياق ضد السموم الموجودة في الملابس، أو في الأرقام، أو الأحجار، أو النباتات، أو الجذور، أو بشكل عام في جميع أنواع الأشياء؟

لقد رأيت في أيدي بعض القساوسة المنتمين إلى دينكم كتباً همجية تحتوي على أسماء وأفعال خرافية للشياطين؛ هؤلاء القساوسة من دينكم زعموا أنهم لا يفعلون خيراً، بل كل ما هو محسوب لإيذاء البشر. بعد أن تعرفت على ديونيسيوس، وهو موسيقي مصري، أخبرني الأخير، فيما يتعلق بالفنون السحرية، أنها لا تملك أي قوة إلا على غير المتعلمين وأصحاب الأخلاق الفاسدة، بينما لا تستطيع أن تُحدث أي تأثير على الفلاسفة، لأنهم يحرصون على اتباع أسلوب حياة صحي.

لقد ارتكبوا بعض الأخطاء الأكثر فجوراً بسبب جهلهم الشديد، حيث انحرفوا عن معنى الألغاز الإلهية، فخلقوا عدواً لله، وهو الشيطان، وأطلقوا عليه في اللغة العبرية اسم سيتن. والآن، في الحقيقة، إن مثل هذه التصريحات هي من اختراع البشر، ولا يجوز حتى تكرارها، وهي أن الله القدير، في رغبته في منح الخير للبشر، لديه من يعارضه، وهو عاجز. وبالتالي، فإن ابن الله قد هُزم على يد الشيطان؛ ولأنه عوقب على يديه، فإنه يعلمنا أيضاً أن نحتقر العقوبات التي يوقعها، ويخبرنا مسبقاً أن الشيطان، بعد أن يظهر للناس كما فعل هو نفسه، سيُظهر أعمالاً عظيمة وعجيبة، ويدعي لنفسه مجد الله، ولكن أولئك الذين يرغبون في إبعاده يجب ألا يلتفتوا إلى أعمال الشيطان هذه، بل أن يضعوا ثقتهم فيه وحده. من الواضح أن هذه التصريحات هي كلمات شخص مخادع، يخطط ويتآمر ضد أولئك الذين يعارضون آراءه، والذين يصنفون أنفسهم ضدها.

حرب الآلهة

يشير القدماء بشكل غامض إلى حرب معينة بين الآلهة، وقد تحدث هيراقليطس عنها قائلاً: "إذا كان لا بد من القول إن هناك حرباً وخلافاً عاماً، وأن كل شيء يتم القيام به وإدارته في خضم الصراع". يروي فيريسيدس، وهو أكبر سناً بكثير من هيراقليطس،

أسطورة جيش اصطف في صفوف معادية ضد جيش آخر، ويسمي كرونوس قائداً لأحدهما، وأوفيونوس قائداً للآخر، ويروي تحدياتهم وصراعاتهم، ويذكر أنه تم إبرام اتفاقيات بينهم، بحيث يُعتبر الطرف الذي يسقط في المحيط مهزوماً، بينما يمتلك أولئك الذين طردوهم وغزوهم السماء. كما أن للأسرار المتعلقة بالجبابرة والعمالقة بعض المعاني الرمزية، وكذلك الأسرار المصرية المتعلقة بتايفون وحورس وأوزيريس. هذه ليست مثل القصص التي تُروى عن شيطان، أو إبليس، أو، لنكون أكثر صدقاً، عن رجل محتال، يرغب في إقامة مذهب معاكس. يشير هوميروس بشكل غامض إلى أمور مشابهة لتلك التي ذكرها هيراقليطس وفيريسيدس، ومبتكري الأسرار المتعلقة بالجبابرة والعمالقة، وذلك بالكلمات التي وجهها هيفايستوس إلى هيرا على النحو التالي:

"ذات مرة كنتُ في صفك شعرتُ بقوته التي لا تُضاهى،
وهو يندفع رأساً على عقب من علوّ أثيري."

وفي تلك التي أرسلها زيوس إلى هيرا:—

"هل نسيتِ، عندما كنتِ مقيدة ومثبتّة في الأعلى،
من قبة السماء المرصعة بالنجوم،
علقتكِ وانت ترتجفين في سلسلة ذهبية،
وقاومت جميع الآلهة الغاضبة عبثًا؟"
ألقيتُ بهم من قاعة الأولمبيين،
مذهولين من الدوران، ولاهثين من السقوط.

إن كلمات زيوس الموجهة إلى هيرا هي كلمات الله الموجهة إلى المادة؛ والكلمات الموجهة إلى المادة تشير بشكل غامض إلى أن المادة التي كانت في البداية في حالة من التنافر مع الله، قد أخذها الله وربطها ورتبها بموجب قوانين، والتي يمكن مقارنتها بشكل مماثل بالسلاسل؛ وأنه من خلال تأديب الشياطين الذين يخلقون الفوضى فيها، يلقي بهم إلى هذا العالم السفلي. وقد فهم فيريسيدس كلمات هوميروس هذه على هذا النحو، عندما قال إن تحت تلك المنطقة تقع منطقة تارتاروس، التي تحرسها الهاربيات وتيمبست، بنات بوريس، والتي ينفي إليها زيوس أي إله يصبح فوضوياً. وترتبط بنفس الأفكار أيضاً بشكل وثيق بـ "ثوب" أثينا، الذي يشاهده الجميع في موكب "باناثينايا". لأنه يتضح من هذا أن شيطاناً بلا أم ولا دنس له سيطرة على جرأة العمالقة.

ابن الله يُعاقب من قبل الشيطان، ويعلمنا أنه ينبغي علينا نحن أيضاً، عندما يُعاقبنا، أن نتحمل ذلك. هذه التصريحات سخيفة تماماً. أعتقد أن الشيطان هو من يجب معاقبته، ولا ينبغي تهديد أولئك البشر الذين يتعرضون للافتراء من قبله بالعقاب. أستطيع أن أخبركم كيف حدث ذلك بالضبط، أي أنهم أطلقوا عليه لقب "ابن الله". أطلق رجال العصور القديمة على هذا العالم، باعتباره مولودًا من الله، اسم "طفله" و"ابنه". إذن، كان كل من "ابن الله" هذا والآخر متشابهين إلى حد كبير.

ستة أيام من الخلق

علاوة على ذلك، فإن تصورهم لنشأة الكون سخيف للغاية. إن قصة خلق الإنسان سخيفة للغاية. طرح القدماء آراءً متباينة بشأن العالم وأصل الإنسان. يؤكد فلاسفة الرواق أن فضيلة الله والإنسان هي نفسها، ويؤكدون أن الله الذي فوق كل شيء ليس أسعد من إنسانهم الحكيم، بل إن سعادة كليهما متساوية. موسى والأنبياء، الذين تركوا لهم كتبهم، وهم لا يعرفون على الإطلاق طبيعة العالم والإنسان، نسجوا معًا شبكة من الهراء المحض.

إن تصريحاتهم حول "أيام الخلق" سخيفة. تبدو عبارة "ليكن هناك نور" [تكوين 1 :3] وكأنها تعبير عن أمنية. لم يستعر الخالق النور من السماء، مثل أولئك الذين يشعلون مصابيحهم من مصابيح جيرانهم. إذا كان هناك بالفعل إله ملعون معارض للإله العظيم، يعمل ضد رضاه، فلماذا منحه النور؟ فيما يتعلق بأصل العالم وفنائه، سواء كان ينبغي اعتباره غير مخلوق وغير قابل

للتدمير، أو مخلوقًا بالفعل ولكنه غير قابل للتدمير، أو العكس، فأنا لا أقول شيئًا في الوقت الحالي. إن أكثر الأمور سخافة على الإطلاق هو توزيع خلق العالم على أيام معينة، قبل وجود الأيام: لأنه بما أن السماء لم تكن قد خلقت بعد، ولا أساس الأرض قد وضع بعد، ولا الشمس كانت تدور بعد، فكيف يمكن أن تكون هناك أيام؟

أي إله يعطي شيئاً بنية المطالبة باسترداده؟ فمن سمات المحتاج أن يطالب بما أعطاه، بينما الله لا يحتاج إلى شيء. لماذا، عندما أعار روحه، كان جاهلاً بأنه كان يقرضها لكائن شرير؟ لماذا يتجاهل دون أن يلاحظ خالقاً شريراً كان يعرقل مقاصده؟ لماذا يرسل سراً، ويدمر الأعمال التي خلقها؟ لماذا يستخدم القوة والإقناع والخداع سراً؟ لماذا يستدرج أولئك الذين، كما تزعم، أدانهم أو اتهمهم، ويأخذهم بعيدًا مثل تاجر الرقيق؟ لماذا يعلمهم أن يسرقوا من ربهم؟ لماذا يهربون من والدهم؟ لماذا يطالب بها لنفسه رغماً عن إرادة والده؟ لماذا يدّعي أنه أب لأطفال غريبين؟ حقًا، إنه لإله جليل يرغب في أن يكون أبا للخطاة الذين أدانهم إله آخر، وللمحتاجين، وكما يقولون هم أنفسهم، لأحقر البشر، والذي يعجز عن القبض على رسوله الذي هرب منه ومعاقبته! إذا كانت هذه أعماله، فكيف خلق الله الشر؟ وكيف لا يستطيع إقناع البشر ونصحهم؟ وكيف يتوب حين يصبح الناس جاحدين وأشراراً؟ بل إنه ينتقد عمله اليدوي، ويكره ذريته ويهددها ويدمرها! لكن إن لم يُهلك ذريته، فأين سينقلهم من هذا العالم الذي خلقه بنفسه؟

علاوة على ذلك، إذا أخذنا هذه الأشياء ونظرنا إليها منذ البداية، ألا يكون من السخف أن يصدر الإله الأول والأعظم الأمر التالي: "ليكن هذا الشيء الأول موجوداً، وهذا الشيء الثاني، وهذا الشيء الثالث"؛ وبعد أن أنجز الكثير في اليوم الأول، أن يفعل المزيد في اليوم الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس؟ وبعد ذلك، يصبح متعباً حقاً، مثل عامل سيئ للغاية، يحتاج إلى الراحة ليستعيد نشاطه! ليس من المناسب للأمور أن يشعر الإله الأول بالتعب، أو يعمل بيديه، أو يصدر الأوامر. لا يملك الله شيئاً آخر نعرفه؛ فهو ليس له فم ولا صوت. ولم يصنع الإنسان على صورته؛ لأن الله ليس كذلك، ولا يشبه أي نوع آخر من الكائنات المرئية. وهكذا يعترفون بأن الله له شكل أو لون؛ بل إنهم يعتقدون أنه له حركة أيضاً. لكن الله لا يشارك حتى في الجوهر! منه كل شيء، ولا يمكن الوصول إلى الله بالكلمة. لا يمكن التعبير عنه بالاسم، لأنه لم يمر بأي معاناة يمكن نقلها بالكلمات.

فكيف لي أن أعرف الله؟ وكيف لي أن أتعلم الطريق الذي يؤدي إليه؟ وكيف ستُريني إياه؟ لأنك الآن، في الواقع، تصب الظلام أمام عيني، ولا أرى شيئاً بوضوح. أولئك الذين يُراد إخراجهم من الظلام إلى نور الإشراق، يعجزون عن تحمل روعته، فتتأثر قدرتهم على الرؤية وتتضرر، فيتوهمون أنهم مصابون بالعمى. كيف يظنون أنهم يستطيعون معرفة الله؟ وكيف لهم أن يعرفوا أنهم سينجون على يديه؟ إن الإجابة التي يقدمونها تستند إلى تخمين محتمل: بما أن الله عظيم ويصعب رؤيته، فقد وضع روحه في جسد يشبه جسدنا، وأرسله إلينا، حتى نتمكن من سماعه والتعرف عليه كشيء يسهل رؤيته.

بما أن ابن الله، الذي كان موجودًا في جسد بشري، هو روح، فإن ابن الله هذا نفسه لن يكون خالدًا. لا يوجد نوع من الروح يدوم إلى الأبد. لا بد أن الله قد فارق الحياة! إذا كان الله قد أراد أن ينزل روحه من ذاته، فما الحاجة إلى نفخها في رحم المرأة؟ لأنه كشخص كان يعرف بالفعل كيفية تشكيل البشر، كان بإمكانه أيضًا أن يصنع جسدًا لهذا الشخص، دون أن يلقي روحه في الكثير من التلوث؛ وبهذه الطريقة لم يكن ليتم استقباله بالشك، لو أنه استمد وجوده مباشرة من الأعلى.

كيف يمكن إثبات أن من عوقب بهذه الطريقة هو ابن الله، ما لم تكن هذه الأمور قد تنبأت به؟ يقدم الحزبان المسيحيان ابنين لله، أحدهما ابن الخالق، والآخر ابن إله غريب؛ ابنان يخوضان قتالاً فردياً! إن معارك الآباء تشبه المعارك بين السمان؛ أو أن الآباء، الذين يصبحون عاجزين بسبب تقدمهم في السن، ويسقطون في شيخوختهم، لا يتدخلون على الإطلاق مع بعضهم البعض، بل يتركون أبناءهم يتقاتلون.

بما أن روحاً إلهية سكنت جسد يسوع، فلا بد أنها كانت مختلفة عن روح الكائنات الأخرى، من حيث العظمة أو الجمال أو القوة أو الصوت أو التأثير أو الإقناع. لأنه من المستحيل أن يكون الشخص الذي مُنح صفة إلهية تفوق سائر المخلوقات، لا يختلف عن الآخرين؛ في حين أن هذا الشخص لم يختلف في أي جانب عن غيره، بل كان، كما ورد، صغيرًا وقبيحًا وحقيرًا.

ومرة أخرى، إذا كان الله، مثل جوبيتر في الكوميديا، يرغب عند استيقاظه من سبات طويل في إنقاذ الجنس البشري من الشر، فلماذا أرسل هذه الروح التي تتحدث عنها إلى ركن واحد من الأرض؟ كان ينبغي عليه أن ينفخها بالتساوي في العديد من الأجساد، ويرسلها إلى جميع أنحاء العالم. والآن كتب الشاعر الهزلي، لإضحاك الجمهور في المسرح، أن جوبيتر، بعد استيقاظه، أرسل ميركوري إلى الأثينيين والإسبرطيين؛ ولكن ألا تعتقد أنك جعلت ابن الله أكثر إثارة للسخرية بإرساله إلى اليهود؟

مع أن الله يعلم كل شيء، إلا أنه لم يكن على علم بهذا، أي أنه كان يرسل ابنه بين الأشرار، الذين سيكونون مذنبين بالخطيئة، وسينزلون به العقاب. دعونا نرى كيف يمكنهم الدفاع عن أنفسهم. أما بالنسبة لأولئك الذين يعترفون بإله آخر، فلا يوجد دفاع ممكن؛ وأولئك الذين يعترفون بنفس الإله سيعودون دائماً إلى نفس السبب: "لا بد أن هذا وذاك قد حدث". ولماذا؟ "لأنه كان متوقعاً منذ زمن طويل." ويقولون إن الأنبياء اليهود تنبأوا بأحداث وقعت في حياة المسيح يسوع. لم يضعوا أي قيمة لأقوال كاهنة بيثيان، وكهنة دودونا، وكلاروس، وبرانشيداي، وجوبيتر آمون، والعديد من الآخرين؛ على الرغم من أنه يمكننا القول إنه تحت إشرافهم تم إرسال مستعمرات، وتم تعمير العالم بأسره. أما تلك الأقوال التي قيلت أو لم تقل في أرض يهودا، وفقًا لعادات وتقاليد تلك البلاد، كما هي في الواقع لا تزال تُقال بين أهل فينيقيا وفلسطين، فإنهم ينظرون إليها على أنها أقوال عجيبة، وصحيحة بشكل لا يتغير.

لقد تنبأوا بنفس الطريقة التي نجدهم يفعلونها حتى الآن بين سكان فينيقيا وفلسطين. هناك أنواع عديدة من النبوءات: فهناك كثيرون ممن، وإن لم يكن لهم اسم، يتخذون حركات وإيماءات الأشخاص المُلهمين بأقصى سهولة وفي أدنى مناسبة، سواء داخل المعابد أو خارجها؛ بينما يفعل آخرون ذلك في المدن أو بين الجيوش، بغرض لفت الانتباه وإثارة الدهشة. هؤلاء اعتادوا أن يقول كل واحد لنفسه: "أنا الله؛ أنا ابن الله؛ أو أنا الروح القدس؛ لقد أتيت لأن العالم يفسد، وأنتم أيها الناس تفسدون بسبب آثامكم". لكني أرغب في إنقاذكم، وسترونني أعود مرة أخرى بقوة سماوية. طوبى لمن يسجد لي الآن. أما الباقي فسأرسل عليه ناراً أبدية، سواء على المدن أو على البلدان. والذين لا يعلمون العواقب التي تنتظرهم سيندمون ويحزنون عبثاً، أما الذين هم أوفياء لي فسأحفظهم إلى الأبد. إلى هذه الوعود العظيمة تُضاف كلمات غريبة ومتعصبة وغير مفهومة على الإطلاق، والتي لا يستطيع أي شخص عاقل أن يجد لها معنى: لأنها غامضة لدرجة أنها لا معنى لها على الإطلاق؛ لكنها تعطي الفرصة لكل أحمق أو محتال لتطبيقها بما يناسب أغراضه الخاصة. أولئك الأنبياء الذين استمعت إليهم، عندما ضغطت عليهم، اعترفوا بدوافعهم الحقيقية، وأقروا بأن الكلمات الغامضة التي استخدموها لم تكن تعني شيئاً في الواقع.

أولئك الذين يدعمون قضية المسيح بالإشارة إلى كتابات الأنبياء لا يمكنهم تقديم إجابة مناسبة فيما يتعلق بالتصريحات الواردة فيها والتي تنسب إلى الله ما هو شرير أو مخزٍ أو نجس: التصريحات التي تصف الله بأنه يقوم بأكثر الأعمال خزياً، أو يعاني من أكثر الآلام خزياً. إنه يشجع على ارتكاب الشر. فماذا كان أفضل لله أن يأكل لحم الغنم، أو أن يشرب الخل والمرارة، من أن يتغذى على القذارة؟

لكن دعونا نتساءل، إذا تنبأ الأنبياء بأن الإله العظيم - لنكن أكثر قسوة - سيصبح عبداً، أو سيمرض أو سيموت؛ فهل ستكون هناك ضرورة لأن يموت الله، أو يعاني من المرض، أو يصبح عبداً، لمجرد أن مثل هذه الأمور قد تم التنبؤ بها؟ هل يجب أن يموت ليثبت ألوهيته؟ لكن الأنبياء لم يكونوا ليطلقوا تنبؤات شريرة وغير تقية كهذه. لذلك لسنا بحاجة إلى الاستفسار عما إذا كان قد تم التنبؤ بشيء ما أم لا، ولكن ما إذا كان الشيء كريماً في ذاته، وجديراً بالله. في الأمور الشريرة والدنيئة، على الرغم من أنه بدا وكأن جميع الرجال في العالم قد تنبأوا بها في نوبة جنون، يجب ألا نصدقها. كيف إذن يمكن للعقل التقي أن يقر بأن تلك الأشياء التي يقال إنها حدثت له، يمكن أن تحدث لمن هو الله؟

السؤال ليس ما إذا كان الأنبياء قد نطقوا بهذه التنبؤات أم لا: إذا كانت هذه الأشياء، التي هي مستحيلة في حد ذاتها، وتتعارض مع صفات الله، قد تنبأ بها الله العلي، فهل نحن ملزمون بتصديقها عن الله لمجرد أنها تنبأ بها؟ لم يكن الأنبياء ليتنبأوا بهذا. ألن يقوموا بهذا الانعكاس أيضًا؟ إذا كان أنبياء إله اليهود قد تنبأوا بأن الآتي إلى العالم سيكون ابن هذا الإله نفسه، فكيف يأمرهم عن طريق

موسى بجمع الثروات، وتوسيع سلطانهم، وملء الأرض، وإهلاك أعدائهم في كل عصر بالسيف، وإبادتهم تمامًا، وهو ما فعله هو نفسه - كما يقول موسى - بل وهددهم أيضًا بأنه إن لم يطيعوا أوامره، فسيعاملهم كأعداء له؟ في حين أن ابنه، رجل الناصرة، أصدر قوانين مناقضة تمامًا لهذه القوانين، مصرحًا بأنه لا يمكن لأحد أن يأتي إلى الآب إذا أحب السلطة أو الغنى أو المجد؛ وأنه لا ينبغي للناس أن يكونوا أكثر حرصًا في توفير الطعام من الغربان؛ وأنهم أقل اهتمامًا بملابسهم من الزنابق [متى 6: 28]؛ وأنه لمن ضربهم ضربة واحدة، عليهم أن يعرضوا أن يتلقوا ضربة أخرى؟ يعد أحد النصوص النبوية بأن الأرض كلها ستمتلئ بالعرق العبري، وأنهم سيقتلون أعداءهم: "ستحكم على أمم كثيرة، ولن يحكموك"، بينما يعلمنا الإنجيل المبدأ: "من ضربك مرة، فأنت تقدم نفسك للضرب مرة أخرى". هل موسى أم عيسى هو الذي يُعلّم ضلالاً؟ هل نسي الآب، عندما أرسل يسوع، الوصايا التي أعطاها لموسى؟ أم أنه غيّر رأيه، وأدان قوانينه الخاصة، وأرسل رسولاً بتعليمات مضادة؟ لم يُعلّم يسوع ولا موسى تعليماً خاطئاً؛ فبحسب تعاليم المسيح، لا يستطيع أي حكيم أن يأتي إلى الآب.

المسيحيون يستلهمون من أفلاطون

أين يأملون أن يذهبوا بعد الموت؟ إلى أرض أخرى أفضل من هذه. لقد تحدث رجال الدين في العصور السابقة عن حياة سعيدة مخصصة لأرواح المباركين. أطلق عليها البعض اسم "جزر المباركين"، وأطلق عليها آخرون اسم "سهل إليسيوم"، وذلك لأنهم كانوا هناك ليتم إنقاذهم من شرورهم الحالية. وهكذا يقول هوميروس: "لكن الآلهة سترسلك إلى سهل إليسيوم، على حدود الأرض، حيث يعيشون حياة هادئة للغاية". كما أن أفلاطون، الذي كان يؤمن بخلود النفس، يطلق اسم "الأرض" بشكل واضح على المكان الذي تُرسل إليه. ويقول: "إن مداها هائل، ونحن لا نشغل إلا جزءًا صغيرًا منها، من فاسيس إلى أعمدة هرقل، حيث نسكن على طول شواطئ البحر، مثل الجراد والضفادع بجانب المستنقع. لكن هناك العديد من الأماكن الأخرى التي يسكنها بشر آخرون بنفس الطريقة. ففي أجزاء مختلفة من الأرض توجد تجاويف، تختلف في شكلها وحجمها، يجري فيها الماء والسحب والهواء. لكن تلك الأرض الطاهرة تقع في منطقة السماء الطاهرة."

ما يقولونه عن أرض أفضل وأكثر تميزاً من هذه، قد تم اقتباسه من بعض الكتاب القدماء ذوي النزعة الإلهية، وبشكل رئيسي من أفلاطون، الذي يتحدث في محاورة فيدون عن الأرض الطاهرة الواقعة في سماء طاهرة. ليس من السهل على الجميع فهم معنى كلمات أفلاطون، عندما يقول إنه بسبب ضعفنا وبطئنا لا نستطيع الوصول إلى أعلى منطقة في الهواء؛ ولكن إذا كانت طبيعتنا قادرة على مثل هذا التأمل السامي، فسنكون قادرين حينها على فهم ما هي السماء الحقيقية، وما هو النور الحقيقي. سنؤجل شرح فكرة أفلاطون إلى فرصة أخرى. إن تعاليمهم السخيفة حول موضوع القيامة مستمدة مما سمعوه عن العقيدة من أفلاطون، وقد تم خلطها وتفسيرها بشكل خاطئ؛ إنهم يؤيدون هذه العقيدة لكي يروا الله ويعرفوه. بعد أن تم دحضها وهزيمتها بشكل كامل، فإنها لا تزال، كما لو كانت بغض النظر عن كل الاعتراضات، تعود مرة أخرى إلى نفس السؤال: "كيف إذن سنرى الله ونعرفه؟ كيف نذهب إليه؟" إنهم يتوقعون أن يروا الله بأعينهم الجسدية، وأن يسمعوه بآذانهم، وأن يلمسوه بشكل محسوس بأيديهم، لأنهم يعتقدون أن الكائن الإلهي مادي في طبيعته، ويمتلك جسداً مثل الإنسان.

وسيسألون مرة أخرى: "كيف لنا أن نعرف الله إلا من خلال إدراك الحواس؟ فكيف لنا أن نكتسب أي معرفة إلا من خلال الحواس؟" هذه ليست لغة إنسان؛ إنها لا تنبع من النفس، بل من الجسد. فليصغوا إلينا، إن كان بإمكان هذا الجنس الجبان، عديم الروح، المنغمس في الشهوات الجسدية، أن يفعل ذلك: إذا نظرتم إلى الأعلى بالروح بدلاً من ممارسة الحواس؛ إذا صرفتم أعين الجسد، وفتحتم أعين العقل، فعندها فقط ستتمكنون من رؤية الله. وإذا كنت تبحث عن مرشد في هذا الطريق، فعليك أن تتجنب جميع المخادعين والمشعوذين، الذين سيقدمونك إلى الأوهام. وإلا فإنك ستؤدي الدور الأكثر سخافة، إذا كنت، بينما تطلق اللعنات على أولئك الآخرين المعترف بهم كآلهة، وتعاملهم كأصنام، تقدم الولاء لصنم أكثر بؤساً من أي منهم، وهو في الواقع ليس صنماً أو شبحاً، بل رجل ميت، وتبحث عن أب مثله.

من أجل هذا الوهم الوحشي، ودعماً لهؤلاء المستشارين الرائعين، وتلك الكلمات الرائعة التي توجهها إلى الأسد، وإلى المخلوق البرمائي، وإلى المخلوق الذي يتخذ شكل حمار، وإلى غيرهم، ومن أجل هؤلاء الحراس الإلهيين الذين تحفظ أسماءهم عن ظهر قلب بكل هذا العناء، في مثل هذه القضية تتحمل التعذيب الوحشي، وتهلك على الخازوق. من الذي يجب أن نتبعه، حتى لا نكون في حاجة إلى مرشدين موصى بهم من قبل كل من العصور القديمة والقداسة ؟ - الشعراء الملهمون إلهياً والحكماء والفلاسفة. قم بزيارة معابد تروفونيوس، وأمفياراوس، وموبسوس، وهناك سترى الآلهة في صورة بشرية، تظهر لنا بكل وضوح، وبدون أي وهم. إنهم لا يظهرون أنفسهم لمرة واحدة، أو على فترات، مثل من خدع الناس، بل هم منفتحون دائماً على التواصل مع من يرغب في ذلك.

أفلاطون، وهو معلم أكثر فعالية للحقيقة اللاهوتية، كتب المقطع التالي في كتاب طيماوس: "من الصعب معرفة خالق هذا الكون وأبوه؛ وبعد العثور عليه، يستحيل تعريف الجميع به". إذن، تدرك كيف يسعى الرجال الإلهيون إلى طريق الحق، وكيف كان أفلاطون يعلم جيداً أنه من المستحيل على جميع الرجال السير فيه. لكن كما اكتشف الحكماء بهذه الطريقة، ولغرض محدد هو أن يكونوا قادرين على نقل فكرة ما إلينا عن الذي هو أول الكائنات، والذي لا يمكن وصفه - وهي فكرة، أي، يمكن أن تمثله لنا من خلال وسيط أشياء أخرى - فإنهم يسعون إما عن طريق التركيب، وهو الجمع بين صفات مختلفة، أو عن طريق التحليل، وهو فصل بعض الصفات واستبعادها، أو أخيرًا عن طريق القياس؛ - بهذه الطرق، أقول، إنهم يسعون إلى وضع ما يستحيل التعبير عنه بالكلمات أمامنا. لذلك سأندهش إذا استطعت أن تسلك هذا المسار، لأنك متعلق بالجسد لدرجة أنك غير قادر على رؤية أي شيء سوى ما هو نجس.

الأشياء إما أن تكون مفهومة، وهو ما نسميه الجوهر - الوجود؛ أو مرئية، وهو ما نسميه الصيرورة: مع الأول توجد الحقيقة، ومن الثاني ينشأ الخطأ. الحقيقة هي موضوع المعرفة؛ والحقيقة والخطأ يشكلان الرأي. الأشياء المعقولة تُعرف بالعقل، والأشياء المرئية بالعينين؛ فعل العقل يسمى الإدراك الذكي، وفعل العين يسمى الرؤية. إذن، من بين الأشياء المرئية، الشمس ليست العين ولا الرؤية، بل هي ما يمكّن العين من الرؤية، ويجعل الرؤية ممكنة؛ ونتيجة لذلك تُرى الأشياء المرئية، وتوجد جميع الأشياء المحسوسة، وتصبح هي نفسها مرئية؛ كذلك من بين الأشياء المعقولة، فإن ما ليس عقلاً، ولا إدراكاً ذكياً، ولا معرفة، هو مع ذلك السبب الذي يمكّن العقل من المعرفة، والذي يجعل الإدراك الذكي ممكناً؛ ونتيجة لذلك تنشأ المعرفة، وتوجد جميع الأشياء المعقولة، والحقيقة نفسها والجوهر؛ وتصبح هي نفسها، التي هي فوق كل هذه الأشياء، بطريقة لا توصف، معقولة.

هذه الأمور معروضة على أصحاب العقول النيرة للنظر فيها؛ وإذا استطعت أنت أيضاً فهم أي منها، فهذا أمر جيد. وإذا كنت تعتقد أن روحًا إلهيًا قد نزلت من الله لتعلن الأمور الإلهية للبشر، فمن المؤكد أن هذه الروح نفسها هي التي تكشف هذه الحقائق، وبنفس التأثير كشف رجال العصور القديمة العديد من الحقائق المهمة. ولكن إذا لم تتمكنوا من فهم هذه الأشياء، فالتزموا الصمت ؛ لا تكشفوا جهلكم، ولا تتهموا بالعمى أولئك الذين يرون، أو العرج أولئك الذين يركضون، بينما أنتم أنفسكم عرج تمامًا ومشوهين ذهنيا، وتعيشون حياة حيوانية فقط - حياة الجسد، الذي هو الجزء الميت من طبيعتنا. تصفون أولئك الذين يعتقدون أن الدين يتجلى في منتجات الفن الميكانيكي للإنسان مثل الصور بأنهم "عميان"؛ أنتم تعيشون فقط من أجل الجسد الذي هو شيء ميت.

بما أنكم متشوقين جداً لأي شيء جديد، فكان من الأفضل لو اخترتم كموضوع لتكريمكم الحماسي شخصاً من أولئك الذين ماتوا ميتة مجيدة، والذين ربما حظيت ألوهيتهم بدعم من أسطورة ما لتخليد ذكراهم! لماذا، إذا لم تكونوا راضين عن هرقل أو أسكليبيوس، وغيرهما من أبطال العصور القديمة، كان لديكم أورفيوس، الذي كان بلا شك رجلاً موحى إليه إلهيًا، والذي مات ميتة عنيفة. لكن ربما سبقكم آخرون إلى تبنيه. ثم يمكنكم أن تأخذوا أناكسارخوس، الذي عندما أُلقي في هاون، وضُرب بوحشية شديدة، أظهر ازدراءً نبيلاً لمعاناته، وقال: "اضربوا، اضربوا قشرة أناكسارخوس، لا تضربوه من أجل نفسه" - وهو بالتأكيد خطاب لروح إلهية حقًا. لكن آخرين سبقوكم في اتباع تفسيره لقوانين الطبيعة. ألا يمكنكم إذن أن تأخذوا مثال إبيكتيتوس، الذي قال مبتسماً غير متأثر، عندما كان سيده يلوي ساقه: "ستكسر ساقي"؛ وعندما كُسرت، أضاف: "ألم أقل لك إنك ستكسرها؟"

ما هي الأقوال المماثلة التي نطق بها إلهك في أوقات المعاناة؟ لو قلتم حتى عن العرافة، التي يعترف بعضكم بسلطتها، أنها كانت ابنة الله، لكنتم قلتم شيئاً أكثر منطقية. لكنكم تجرأتم على إقحام العديد من الأمور الفاحشة في كتاباتها، وجعلتم من أنهت حياتها المشينة بموت بائس إلهاً. كم كان سيكون أكثر ملاءمة من يونس في بطن الحوت، أو دانيال الذي نجا من الوحوش البرية، أو أي شخص آخر من نوع أكثر وحشية ونذير شؤم! اخترعوا يونس بدلاً من يسوع إلهاً لكم؛ إن دانيال الذي أنقذ من الأسود يستحق عبادتكم أكثر من يسوع.

كما أن لديهم مبدأً بهذا المعنى، وهو أنه لا ينبغي لنا أن ننتقم من الشخص الذي يؤذينا، أو كما يقول المثل: "من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضاً". [متى 5: 39.] هذا قول قديم، تم التعبير عنه بشكل رائع منذ زمن بعيد، ولم ينقلوه إلا بطريقة أكثر فظاظة. يقدم أفلاطون حوار سقراط مع كريتو على النحو التالي: "ألا يجب علينا أبدًا أن نظلم أي شخص؟" "بالتأكيد لا." "وبما أنه لا يجب علينا أبداً أن نرتكب الظلم، ألا يجب علينا أن نرد الظلم بالظلم الذي وقع علينا، كما يعتقد معظم الناس؟" "يبدو لي أنه لا ينبغي لنا ذلك". "لكن أخبرني يا كريتو، هل يجوز لنا أن نؤذي أحداً أم لا؟" "بالتأكيد لا يا سقراط." "حسنًا، هل من العدل، كما هو شائع، أن يقوم من تعرض للظلم بالانتقام، أم أنه أمر غير عادل؟" "هذا ظلم. نعم؛ لأن إلحاق الأذى بالإنسان هو نفسه إلحاق الظلم به." "أنت تتحدث بصدق. إذن، يجب ألا نرد الظلم بالظلم، ولا يجب أن نلحق الأذى بأحد، مهما كان الأذى الذي قد نكون قد لحق بنا منه." هكذا يتحدث أفلاطون؛ ويضيف: "تأمل إذن، هل أنت متفق معي، وهل يمكننا، انطلاقاً من هذا المبدأ، أن نصل إلى استنتاج مفاده أنه ليس من الصواب أبداً ارتكاب الظلم، حتى رداً على ظلم تم تلقيه؛ أم أنك، من ناحية أخرى، تختلف معي، ولا تقبل المبدأ الذي بدأنا منه. لطالما كان هذا رأيي، ولا يزال كذلك." هذه هي مشاعر أفلاطون، وقد كانت بالفعل مشاعر رجال الدين قبل عصره.

اسمعوا الآن يسوع يقول بفظاظة ما قاله أفلاطون بأناقة: "مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا". [لوقا 6 :29.] لكن هذا يكفي كمثال واحد على الطريقة التي تم بها استعارة هذه الحقيقة وغيرها وتحريفها. يمكن لأي شخص يرغب في ذلك أن يجد المزيد منها بسهولة عن طريق البحث.

المذابح والصور

لننتقل إلى نقطة أخرى. لا يمكنهم التسامح مع المعابد أو المذابح أو الصور. في هذا يشبهون السكيثيين، والقبائل البدوية في ليبيا، والسيريين الذين لا يعبدون إلهاً، وبعض الأمم الأخرى الأكثر همجية وإلحاداً في العالم. إن الفرس يحملون نفس المفاهيم، كما يتضح من كلمات هيرودوت: "أعلم أنه يعتبر من غير القانوني عند الفرس إقامة التماثيل أو المذابح أو المعابد؛ لكنهم يتهمون أولئك الذين يفعلون ذلك بالغباء، لأنهم، كما أعتقد، لا يفترضون، مثل اليونانيين، أن الآلهة من طبيعة البشر". ويقول هيراقليطس أيضاً في موضع واحد: "إن الأشخاص الذين يوجهون الصلوات إلى هذه الصور يتصرفون مثل أولئك الذين يتحدثون إلى الجدران، دون أن يعرفوا من هم الآلهة أو الأبطال". وأي درسٍ أكثر حكمةً يمكنهم أن يعلمونا إياه من هيراقليطس؟ إنه بالتأكيد يلمح بوضوح كافٍ إلى أنه من الحماقة أن يقدم الرجل الصلوات للصور، بينما لا يعرف من هم الآلهة والأبطال. هذا رأي هيراقليطس؛ أما هم، فيذهبون إلى أبعد من ذلك، ويحتقرون جميع الصور دون استثناء.

إذا كانوا يقصدون فقط أن الحجر أو الخشب أو النحاس أو الذهب الذي صنعه هذا أو ذاك من العمال لا يمكن أن يكون إلهاً، فإن حكمتهم مثيرة للسخرية. فمن ذا الذي يستطيع، إلا إذا كان ساذجاً للغاية في بساطته، أن يعتبر هذه الأشياء آلهة، وليس قرابين مكرسة لخدمة الآلهة، أو صوراً تمثلها؟ لكن إذا لم نعتبر هذه الأمور تمثل الكائن الإلهي، بالنظر إلى أن الله له شكل مختلف، كما يتفق الفرس معهم في قولهم، فليحرصوا على ألا يتناقضوا مع أنفسهم. فبينما يقولون من جهة أن الله ليس له شكل بشري، فإنهم من جهة أخرى يدّعون أنهم يؤمنون بأن الله خلق الإنسان على صورته [تكوين 1 :26]، وأنه أعطاه شكلاً مثله. ومع ذلك، سيعترفون بأن هذه الصور، سواء كانت تشبه الآلهة أم لا، قد تم صنعها وتكريسها لتكريم كائنات معينة؛ لكنهم سيعتبرون أن الكائنات التي تم تكريسها لها ليست آلهة، بل شياطين، وأن عابد الله لا ينبغي له أن يعبد الشياطين.

من السهل إدانتهم بأنهم لا يعبدون إلهاً، ولا حتى شياطين، بل يعبدون شخصاً ميتاً. أولاً، أود أن أسأل لماذا لا يجوز لنا خدمة الشياطين؟ أليس صحيحاً أن كل شيء مُرتب وفقاً لإرادة الله، وأن عنايته تُسيّر كل شيء؟ أليس كل ما يحدث في الكون، سواء كان من عمل الله أو الملائكة أو الشياطين الأخرى أو الأبطال، يخضع لقانون الله العلي؟ ألم يتم تكليف هؤلاء بإدارات مختلفة اعتبروا جديرين بها؟ أليس من العدل إذن أن يخدم من يعبد الله أولئك الذين خصص الله لهم هذه السلطة؟ لكن من المستحيل، كما قال معلمهم، أن يخدم المرء العديد من الأسياد. كل ما يحدث في الكون، سواء كان من عمل الله، أو الملائكة، أو الشياطين الأخرى، أو الأبطال، يخضع لقانون الله العلي القدير.

ألم تُخصص هذه السلطات الأدنى لها أقسام مختلفة من قبل الله، وفقاً لما اعتبره كل منها جديراً؟ ثم يتبع ذلك حشد من الآلهة والشياطين، مرتبة في إحدى عشرة فرقة. نحن، الفلاسفة، ننتمي إلى حزب جوبيتر؛ أما الآخرون فينتمون إلى شياطين أخرى. فيما يتعلق بالخدمة بين البشر، فإن السيد الأول يتضرر عندما يرغب أي من خدمه في خدمة خادم آخر في نفس الوقت. وينطبق الأمر نفسه على الأبطال، والشياطين الأخرى من هذا النوع. فإن كنت تعبد أي شيء آخر في الكون، فاعلم أنه لا يجوز لنا أن نكرم أحداً إلا من أعطاه الله ذلك الحق. أليس من العدل إذن أن يخدم من يخدم الله أولئك الذين خصص الله لهم هذه السلطة؟

فلماذا لا يعبدون الشياطين؟ يقولون إنه من المستحيل على المرء أن يخدم العديد من السادة. [متى 6: 24.] هذه لغة الفتنة، ولا يستخدمها إلا أولئك الذين ينفصلون عن المجتمع البشري ويقفون بمعزل عنه. أولئك الذين يتحدثون بهذه الطريقة ينسبون مشاعرهم وعواطفهم إلى الله. ينطبق هذا الأمر على البشر، فمن يعمل لدى سيد واحد لا يستطيع أن يخدم سيداً آخر بشكل جيد، لأن الخدمة التي يقدمها للأول تتعارض مع الخدمة التي يدين بها للآخر؛ ولذلك، لا يجب على أي شخص قد تعهد بالفعل بخدمة أحدهم أن يقبل خدمة آخر. وبالمثل، من المستحيل خدمة الأبطال أو الشياطين ذوي الطبائع المختلفة في نفس الوقت. أما فيما يتعلق بالله، الذي لا يخضع لأي معاناة أو خسارة، فمن السخف أن نكون حذرين من عبادة المزيد من الآلهة، كما لو كنا نتعامل مع أنصاف الآلهة، أو أرواح أخرى من هذا القبيل. من يعبد آلهة متعددة يفعل ما يرضي العلي، لأنه يكرم ما يخصه. من الخطأ حقاً أن نكرم من لم يكرمه الله. لذلك، فإن تكريم وعبادة كل ما ينتمي إلى الله لن يغضب من الذي ينتمي إليه كل ذلك.

كيف يمكن لمن يكرم أيًا ممن يعترف الله بهم كأبناء له أن يكون مكروهًا عند الله، الذي ينتمون إليه جميعًا؟ وبالفعل، فإن من يتحدث عن الله ويؤكد أنه لا يوجد إلا واحد يمكن أن يُدعى الرب، يتكلم بكفر، لأنه يقسم ملكوت الله، ويثير الفتنة فيه، مما يعني وجود فصائل منفصلة في الملكوت الإلهي، وأن هناك من هو عدوه. لو أن هؤلاء الناس عبدوا إلهاً واحداً فقط، ولم يعبدو غيره، لكان لديهم ربما بعض الحجج الوجيهة ضد عبادة الآخرين. لكنهم يبالغون في تبجيل من ظهر بين الناس حديثاً، ولا يرون في عبادتهم لخادمه ذنباً في حق الله. لأنهم يجمعون بين عبادة الله وعبادة ابنه، فإن ذلك يترتب عليه، في رأيهم، أنه لا ينبغي عبادة الله وحده، بل خدام الله أيضاً.

من بين خدام الله تُعتبر الشياطين التي يعبدها الناس الآخرون. إذا أخبرتهم أن يسوع ليس ابن الله، بل إن الله هو أبو الجميع، وأنه وحده الذي يجب أن يُعبد حقًا، فلن يوافقوا على التوقف عن عبادة من هو قائدهم في الفتنة. ويدعونه ابن الله، ليس من باب التبجيل الشديد لله، بل من باب الرغبة الشديدة في تمجيد يسوع المسيح؛ فهو موضع تبجيلهم الأسمى. لذلك يجعلون من يدعونه أباً أدنى من ابن الله.

ولكي أقدم تمثيلاً حقيقياً لإيمانهم، سأستخدم كلماتهم الخاصة، كما وردت فيما يسمى حوار سماوي: "إذا كان الابن أقوى من الله، وابن الإنسان سيد عليه، فمن غير الابن يمكن أن يكون سيداً على ذلك الإله الذي هو الحاكم على كل شيء؟ كيف يعقل أنه بينما يتجول الكثيرون حول البئر، لا ينزل أحد إليها؟ لماذا أنت خائف وتتراجع خوفاً وقد قطعت شوطاً طويلاً في الطريق؟ الجواب: أنت مخطئ، فأنا لا أفتقر إلى الشجاعة ولا إلى الأسلحة." أليس من الواضح إذن أن آراءهم هي بالضبط كما وصفتها؟ إنهم يفترضون أن إلهاً آخر، وهو فوق السماوات، هو أبو من يكرمونه بقلب واحد، لكي يكرموا ابن الإنسان هذا وحده، الذي يعظمونه

تحت صورة واسم الإله العظيم، والذي يؤكدون أنه أقوى من الله الذي يحكم العالم، وأنه يحكم عليه. ومن ثم فإن مقولتهم، "من المستحيل خدمة سيدين"، يتم الحفاظ عليها لغرض الحفاظ على الحزب الذي يقف إلى جانب هذا الرب.

إنهم يمتنعون عن إقامة المذابح والتماثيل والمعابد؛ وقد اتفقوا فيما بينهم على أن هذا هو الشعار أو العلامة المميزة لجمعية سرية ومحرمة. إنهم يتصورون أنه إذا تم مناداة المخاطبين بأسماء بربرية، فسيكون لهم سلطة، ولكنهم لن يكون لهم أي سلطة إذا تمت مخاطبتهم باليونانية أو اللاتينية. هكذا هي تعاويذهم.

الله إله الجميع على حد سواء؛ إنه خير، لا يحتاج إلى شيء، وهو بلا غيرة. إذن، ما الذي يمنع أولئك الأكثر تفانياً في خدمته من المشاركة في الأعياد العامة وتقديم القرابين المقدسة؟ إذا كانت هذه الأصنام لا شيء، فما الضرر من المشاركة في الوليمة؟ من ناحية أخرى، إذا كانوا شياطين، فمن المؤكد أنهم أيضاً مخلوقات الله وينتمون إليه، وأنه يجب علينا أن نؤمن بهم، ونقدم لهم القرابين وفقاً للشريعة، ونصلي لهم لكي يكونوا مباركين. إذا امتنعوا عن تناول مثل هذه الضحايا امتثالاً لتقاليد آبائهم، فعليهم أيضاً الامتناع عن تناول جميع الأطعمة الحيوانية، وفقاً لآراء فيثاغورس، الذي أظهر بذلك احترامه للروح وأعضائها الجسدية. لكن إذا كانوا، كما يقولون، يمتنعون حتى لا يأكلوا مع الشياطين، فأنا معجب بحكمتهم، إذ اكتشفوا في النهاية أنهم كلما أكلوا يأكلون مع الشياطين، على الرغم من أنهم يرفضون ذلك فقط عندما ينظرون إلى ضحية مذبوحة؛ لأنه عندما يأكلون الخبز، أو يشربون الخمر، أو يلمسون الفاكهة، ألا يتلقون هذه الأشياء - بالإضافة إلى الماء الذي يشربونه والهواء الذي يتنفسونه - من عناصر مختلفة من الطبيعة؟

يستشهد اليهود والمسيحيون على حد سواء دفاعاً عن الامتناع عن تقديم القرابين الوثنية، بأنه من الخطأ أن يأكل أولئك الذين كرسوا أنفسهم لله العلي القدير مع الشياطين. لكن كيف يمكنهم أن يأكلوا الخبز أو يشربوا النبيذ بأي شكل من الأشكال، أو يتذوقوا الفاكهة، أو حتى يشربوا رشفة من الماء، دون أن يأكلوا ويشربوا مع الشياطين! إن الهواء الذي نتنفسه نستمده من الشياطين، ولا يستطيع أي حيوان أن يتنفس دون أن يتلقى الهواء من الشياطين الذين يسيطرون على الهواء. لا يقتصر الأمر على ثمار الأرض فحسب، بل يشمل كل مجرى مائي وكل نسمة هواء تُخرج بها الأرض تلك الأشياء التي يقال إنها تنمو بشكل طبيعي، - فالماء ينبع من الينابيع، وينعش الأرض بالجداول الجارية، - فالهواء يبقى نقياً، ويدعم حياة من يتنفسه، فقط نتيجة لتدخل وسيطرة كائنات معينة يمكننا أن نسميها مزارعين وحراس غير مرئيين. إما أن لا نعيش، بل ولا نأتي إلى هذه الحياة على الإطلاق، أو أن نفعل ذلك بشرط أن نقدم الشكر والباكورة والصلوات للشياطين، الذين تم وضعهم على أمور هذا العالم: وعلينا أن نفعل ذلك ما دمنا أحياء، لكي يثبتوا أنهم صالحون ورحماء.

إن واليًا أو قائدًا أو جنرالًا أو حاكمًا لملك فارسي أو روماني، بل وحتى أولئك الذين يشغلون مناصب أدنى من الثقة أو الخدمة في الدولة، سيكونون قادرين على إلحاق ضرر كبير بمن يحتقرهم؛ فهل سيُهان حكام الأرض والجو دون عقاب؟ يقول المسيحي: "ها أنا ذا، أصعد إلى تمثال جوبيتر أو أبولو، أو أي إله آخر: أشتمه وأضربه، ومع ذلك لا ينتقم مني". ألا ترى يا سيدي الكريم أن حتى شيطانك ليس فقط مُهانًا، بل منفيًا من كل أرض وبحر، وأنت نفسك، الذي أنت بمثابة صورة مُكرسة له، مُقيد ومُقتاد إلى العقاب، ومُثبت على الخازوق، بينما شيطانك - أو كما تسميه "ابن الله" - لا ينتقم من فاعل الشر؟

يقول كاهن جوبيتر أو أبولو: "طواحين الآلهة تطحن ببطء". ويصف آخر العقاب بأنه يصل "إلى أحفاد الأبناء، وإلى أولئك الذين أتوا بعدهم". إنكم تسخرون من تماثيل آلهتنا وتشتمونها؛ ولكن لو شتمتم باكوس أو هرقل أثناء تواجدنا شخصياً، لما فعلتم ذلك ربما ونجوتم دون عقاب. أما الذين صلبوا إلهكم حين كان حاضراً بين الناس، فلم يعانوا شيئاً بسبب ذلك، لا في ذلك الوقت ولا طوال حياتهم. وما الجديد الذي حدث منذ ذلك الحين ليجعلنا نعتقد أنه لم يكن دجالاً، بل ابن الله؟ والحق أن الذي أرسل ابنه بتعليمات معينة للبشرية، سمح بمعاملته بهذه القسوة، وبأن تموت تعليماته معه، دون أن يبدي أدنى اهتمام طوال هذه المدة الطويلة. أي أب كان بهذه القسوة؟ ربما، في الواقع، يمكنك القول إنه عانى كثيراً، لأنه كان يرغب في تحمل ما أصابه. لكن من

الممكن لأولئك الذين تسبّهم بسوء نية أن يتبنوا نفس اللغة، ويقولوا إنهم يرغبون في أن يتم شتمهم، ولذلك يتحملون ذلك بصبر؛ لأنه من الأفضل التعامل بالتساوي مع كلا الجانبين.

لماذا يكون حاضراً أحياناً، وغائباً أحياناً أخرى؟ ما هو العمل الذي يأخذ الشياطين من مكان إلى آخر ؟ أولئك الذين صلبوا إلهكم نفسه لم يعانوا من أي أذى بسبب فعلهم ذلك؛ وأولئك الذين تسببوا في موت يسوع لم يعانوا من أي شيء بعد ذلك طوال تلك الفترة الطويلة. أما أولئك الذين تثقلون كاهلهم بالإهانات، فيمكنكم بالمثل أن تقولوا إنهم يخضعون طواعية لمثل هذه المعاملة، ولذلك يتحملون الإهانات بصبر؛ ومع ذلك فإن هذه الآلهة تعاقب المستهزئ بشدة، بحيث يجب عليه إما أن يهرب ويختبئ، أو أن يُقبض عليه ويهلك. ما الحاجة إلى جمع كل الردود النبوية التي تم نقلها بصوت إلهي من قبل الكهنة والراهبات، وكذلك من قبل آخرين، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ممن كانوا تحت تأثير إلهي؟ - كل الأشياء العجيبة التي سُمعت وهي تصدر من قدس الأقداس؟ - كل الوحي الذي أُعطي لأولئك الذين استشاروا ضحايا القرابين؟ - وكل المعرفة التي نُقلت إلى البشر من خلال علامات ومعجزات أخرى؟

بالنسبة للبعض، ظهرت الآلهة في أشكال مرئية. العالم مليء بمثل هذه الأمثلة. كم من المدن بُنيت طاعةً لأوامر واردة من العرافين؛ وكم من مرة، وبنفس الطريقة، نُجّيت من الأمراض والمجاعات! أو مرة أخرى، كم من المدن هلكت بشكل بائس بسبب تجاهل أو نسيان هذه النبوءات! كم من المستعمرات تم إنشاؤها وازدهارها باتباع أوامرهم! كم من الأمراء والأشخاص العاديين، بسبب هذا السبب، نالوا الرخاء أو الشدة! كم من الذين حزنوا على عدم إنجابهم، نالوا النعمة التي طلبوها! كم من الناس قد صرفوا أنفسهم عن غضب الشياطين! كم من الذين أصيبوا بتشوهات في أطرافهم، استعادوا أطرافهم! ومرة أخرى، كم من الناس واجهوا عقاباً فورياً لعدم إظهارهم الاحترام للمعابد - بعضهم أصيب بالجنون على الفور، وآخرون اعترفوا علناً بجرائمهم، وآخرون أنهوا حياتهم، وآخرون أصبحوا ضحايا لأمراض لا شفاء منها! نعم، لقد قُتل البعض على يد صوت رهيب ينبعث من الحرم الداخلي.

الاستشهاد

دعونا نتفحص الحماس الذي سيقاتل به البشر حتى الموت بدلاً من التخلي عن المسيحية. وكما تؤمن أنت، أيها السيد الكريم، بالعقوبات الأبدية، كذلك يؤمن بها الكهنة الذين يفسرون الأسرار المقدسة ويتلقون التأهيل فيها. إن العقوبات نفسها التي تهدد بها الآخرين، يهددونك بها. والآن يجدر بنا أن ندرس أيهما أكثر ثباتاً على أنه صحيح؛ لأن كلا الطرفين يدعيان بنفس القدر من اليقين بأن الحقيقة في صفهما. لكن إذا كنا بحاجة إلى أدلة، فإن كهنة الآلهة الوثنية يقدمون العديد من الأدلة الواضحة والمقنعة، جزئياً من العجائب التي يقوم بها الشياطين، وجزئياً من الإجابات التي يقدمها العرافون، وأساليب أخرى متنوعة للتنبؤ.

إلى جانب ذلك، أليس من السخف والتناقض الشديد فيك، من جهة، أن تولي الجسد كل هذا الاهتمام - أن تتوقع أن يقوم الجسد نفسه مرة أخرى، كما لو كان أفضل وأثمن جزء من طبيعتنا المعقدة؛ ومع ذلك، من جهة أخرى، أن تعرضه لمثل هذه التعذيبات كما لو كان بلا قيمة؟ لكن البشر الذين يحملون مثل هذه الأفكار، والذين يتعلقون بالجسد إلى هذا الحد، لا يستحقون أن يُحاك معهم؛ لأنهم في هذا وفي جوانب أخرى يُظهرون أنفسهم فظين، وغير طاهرين، وعازمين على التمرد على المعتقد العام دون أي سبب. لكنني سأوجه حديثي إلى أولئك الذين يأملون في التمتع بالحياة الأبدية مع الله عن طريق النفس أو العقل، سواء اختاروا تسميتها طبيعة روحية؛ أو روح ذكية، مقدسة ومباركة؛ أو النفس العاقلة؛ أو النفس الحية؛ أو النسل السماوي الذي لا يفنى لطبيعة إلهية وغير مادية؛ أو بأي اسم آخر يطلقونه على الطبيعة الروحية للإنسان. وهم مقتنعون بحق أن الذين يعيشون حياة طيبة سيُباركون، وأن الظالمين سيعانون جميعاً من عذاب أبدي. ولا ينبغي لهم ولا لأي شخص آخر أن يحيدوا عن هذا المبدأ أبداً. لا يجوز لي، أو لهؤلاء، أو لأي فرد آخر أن يرفضوا عقيدة العقاب الأبدي للأشرار وثواب الصالحين.

وبما أن هناك آراء مختلفة حول أصل الإنسان، فلا يجب علينا أن نقبل بشكل عشوائي أو أن نرفض بتهور الآراء التي كان يحملها القدماء. بما أن البشر يولدون متحدين بجسد، سواء كان ذلك ليناسب نظام الكون، أو لكي يتحملوا عقاب الخطيئة بهذه الطريقة؛ أو لأن النفس تُضطهد بأهواء معينة حتى تُطهر منها في الفترة الزمنية المحددة، - لأنه وفقًا لإمبيدوكليس، يجب نفي جميع البشر من مساكن المباركين لمدة 30000 فترة زمنية، - لذلك يجب أن نعتقد أن البشر موكلون إلى كائنات معينة كحراس لهذا السجن. إن المسيحيين، الذين أظهروا عناداً مماثلاً للمجرمين سيئي السمعة، يستحقون العقاب على جرائمهم.

عليهم أن يختاروا بين بديلين. إذا رفضوا تقديم الخدمة الواجبة للآلهة، واحترام أولئك المكلفين بهذه الخدمة، فلا ينبغي لهم أن يبلغوا سن الرشد، أو يتزوجوا، أو ينجبوا أطفالاً، أو حتى أن يشاركوا في شؤون الحياة؛ بل فليرحلوا من هنا بأسرع وقت ممكن. لا يتركوا وراءهم ذرية، وليُطردوا من الحياة بأسرع ما يمكن، حتى ينقرض هذا الجنس من على وجه الأرض. أو من ناحية أخرى، إذا كانوا سيتزوجون، ويربون الأطفال، ويتذوقون ثمار الأرض، ويشاركون في جميع نعم الحياة، ويتحملون أحزانها المقدرة (لأن الطبيعة نفسها قد قسمت الأحزان لجميع البشر؛ لأن الأحزان يجب أن توجد، والأرض هي المكان الوحيد لها)، فعليهم حينها أن يؤدوا واجبات الحياة حتى يتحرروا من قيودها، وأن يقدموا الاحترام الواجب لتلك الكائنات التي تتحكم في شؤون هذه الحياة، إن لم يظهروا أنفسهم ناكرين للجميل تجاهها. لأنه سيكون من الظلم أن لا ندفع لهم أي جزية في المقابل بعد أن يتلقوا الخيرات التي يقدمونها. يؤدي البشر واجبات الحياة عندما يقدمون القرابين لكل إله من الآلهة المعترف بها في الدولة، وذلك وفقاً للعادات المتعارف عليها.

يُعتبر الكلدانيون أمة مُلهمة إلهياً منذ أقدم العصور، ومنهم انتشر نظام التنجيم بين البشر. بل إنني أصنف المجوس أيضاً في نفس الفئة، الذين استمد فن السحر اسمه منهم وانتقل إلى الأمم الأخرى. إن الشعب المصري أيضاً موحى إليه إلهياً، وذلك منذ أقدم العصور. علاوة على ذلك، فإن الفرس شعب ملهم؛ بل إن الهنود كذلك. فليسأل أي شخص المصريين، وسيجد أن كل شيء، حتى أكثر الأشياء تفاهةً، موكل إلى رعاية شيطان معين. ينقسم جسم الإنسان إلى ستة وثلاثين جزءًا، ويتم تعيين عدد مماثل من شياطين الهواء للعناية به، كل منها مسؤول عن جزء مختلف، على الرغم من أن البعض الآخر يجعل العدد أكبر بكثير. جميع هذه الشياطين لها أسماء مميزة في لغة ذلك البلد؛ مثل شنومين، شناتشومين، كنات، سيكات، بيو، إيرو، إريبيو، رامانور، ريانور،، وغيرها من الأسماء المصرية. علاوة على ذلك، فإنهم يستعينون بهم، فيشفون من أمراض أجزاء معينة من الجسم. إذن، ما الذي يمنع الإنسان من تكريم هؤلاء أو غيرهم، إذا كان يفضل أن يكون بصحة جيدة على أن يكون مريضاً، وأن يتمتع بالرخاء على أن يعاني من الشدائد، وأن يتحرر قدر الإمكان من جميع البلايا والمتاعب؟

ومع ذلك، يجب توخي الحذر خشية أن ينغمس أي شخص في هذه الأمور من خلال تعريف عقله بها، وخشية أن ينصرف عقله عن الأمور العليا بسبب الاهتمام المفرط بالجسد، ويسمح لها بأن تتلاشى في غياهب النسيان. لعلنا لا ينبغي أن نحتقر رأي أولئك الحكماء الذين يقولون إن معظم شياطين الأرض منشغلون بالانغماس الجسدي والدم والروائح والأصوات الحلوة وغيرها من الأشياء الحسية؛ ولذلك فهم غير قادرين على فعل أكثر من شفاء الجسد أو التنبؤ بمصائر البشر والمدن والقيام بأشياء أخرى تتعلق بهذه الحياة الفانية. يجب علينا أن نقدم لهم القرابين، بقدر ما تكون مفيدة لنا، لأن تقديمها بشكل عشوائي لا يسمح به العقل. الرأي الأكثر عدلاً هو أن الشياطين لا ترغب في شيء ولا تحتاج إلى شيء، لكنها تستمتع بمن يقومون تجاهها بأعمال التقوى.

يجب ألا نفقد صلتنا بالله بأي شكل من الأشكال، سواء في النهار أو الليل، سواء في العلن أو في السر، سواء بالقول أو بالفعل، بل في كل ما نفعله أو نمتنع عن فعله، في كل ما نفعله في العلن، في جميع أفعالنا، في جميع أقوالنا، يجب أن تكون النفس ثابتة باستمرار على الله. إذا كان الأمر كذلك، فما الضرر في كسب رضا حكام الأرض، سواء كانوا من طبيعة مختلفة عن طبيعتنا، أو أمراء وملوك بشريين؟ فقد اكتسب هؤلاء كرامتهم عن طريق الشياطين. لم يكن وصول الملوك إلى مكانتهم الملكية إلا بفضل قوة الشياطين. أما إذا أُمر أي عابد لله بفعل شيء فاحش، أو بقول شيء بذيء، فلا ينبغي بأي حال من الأحوال اعتبار هذا الأمر مقبولاً؛ بل يجب علينا أن نواجه جميع أنواع العذاب، أو نخضع لأي نوع من الموت، بدلاً من أن نقول أو حتى نفكر في أي شيء لا يليق بالله.

لكن إذا أمركم أحد بالاحتفال بالشمس، أو بإنشاد أغنية انتصار بهيجة في مدح منيرفا، فستبدو من خلال الاحتفال بمديحهم وكأنكم تقدمون الثناء والتكريم الأسمى لله العظيم؛ لأن التقوى، عندما تمتد إلى كل شيء، تصبح أكثر كمالاً. إذا أُمرت بالقسم بملك بشري، فلا حرج في ذلك؛ لأنه قد أُعطي كل ما في الأرض؛ وكل ما تناله في هذه الحياة، فإنما تناله منه. لا يجب علينا أن نعصي الكاتب القديم الذي قال منذ زمن بعيد: "ليكن ملك واحد، من عينه ابن زحل الماكر". إذا تجاهلت هذه القاعدة، فسوف تعاني بسببها على يد الملك. لأنه لو فعل الجميع مثلك، لما كان هناك ما يمنع تركه في عزلة وهجران تامين، ولسقطت شؤون الأرض في أيدي أكثر البرابرة وحشية وخروجاً عن القانون؛ وحينها لن يبقى بين الناس شيء من مجد دينك أو من الحكمة الحقيقية. سيكون هناك سيد واحد، ملك واحد، سيوقع عليكم العقاب المستحق.

لنفترض أن الجميع سيفعلون مثلك. بالتأكيد لا تقول أنه إذا تخلى الرومان، امتثالاً لرغبتك، عن واجباتهم المعتادة تجاه الآلهة والبشر، وعبدوا العلي، أو أيًا كان ما تسميه، فإنه سينزل ويقاتل من أجلهم، بحيث لا يحتاجون إلى أي مساعدة أخرى غير مساعدته. لأن هذا الإله نفسه، كما تقولون أنتم، وعد قديماً بهذا وأكثر بكثير لمن خدموه، وانظروا كيف ساعدهم وساعدكم! أما هم، فبدلاً من أن يكونوا سادة العالم بأسره، لم يتبق لهم حتى قطعة أرض واحدة يسمونها موطناً؛ أما أنتم، فإذا تجاوز أحدكم حدوده ولو سراً، يُبحث عنه ويُعاقب بالموت. ماذا سيحدث لو تم إقناع الرومان بتبني مبادئ المسيحيين، وازدراء الواجبات المدفوعة للآلهة المعترف بها وللبشر، وعبادة العلي القدير؟

من المؤكد أنه من غير المقبول أن تقولوا إنه إذا تم أسر حكامنا الحاليين، بعد تبنيهم لآرائكم، من قبل العدو، فستظلون قادرين على إقناع أولئك الذين سيحكمون من بعدهم؛ وبعد أسر هؤلاء ستقنعون خلفاءهم وهكذا دواليك، حتى في النهاية، عندما يتم أسر كل من استجاب لإقناعكم، سيظهر حاكم حكيم، لديه بصيرة لما هو وشيك، وسيدمركم جميعًا تمامًا قبل أن يهلك هو نفسه. وكأن من الممكن أن يخضع جميع سكان آسيا وأوروبا وليبيا، اليونانيين والبرابرة، حتى أقصى بقاع الأرض، لقانون واحد! كل من يعتقد أن هذا ممكن، لا يعلم شيئاً. ساعد الملك بكل قوتك، واعمل معه في إقامة العدل، وقاتل من أجله؛ وإذا طلب منك ذلك، فقاتل تحت إمرته، أو قد جيشاً معه. تولي منصباً في حكومة البلاد، إذا كان ذلك مطلوباً للحفاظ على القوانين ودعم الدين.